أرواح شريرة

تأليف: هنرى چيمس

ترجمة: الشريف خاطر

مراجعة: مختار السويفى

المؤلف

ولد « هنرى جيمس » سنة ١٨٤٣ ومات سنة ١٩١٦ .. وهو يعتبر من أشهر الروائيين الأمريكيين . فى شبابه درس القانون فى جامعة « هارفارد » ولكنه كان يهوى الأدب وبرع فيه ووهبه حياته كلها .

وبعد أن بلغ الثلاثين انتقل الى أوربا وعاش فى انجلترا التى كان يحبهـا . وفى ســـنة ١٩١٥ تجنس بالجنسية البريطانية تعاطفا منه مع الانجليز أثناء الحرب العالمية الأولى .

قبل أن تبدا القصة

ذات ليلة من ليالى اعياد الميلاد ، كنا جالسين حول المدفأة نحكي قصصا عن الأرواح · واستمعنا الى حكاية او حكايتين عن الأرواح الصغيرة غير المؤذية التى تظهر للناس من وقت لآخر ، لكنها لا تتدخل فى شـــئونهم ·· وسمعنا كذلك بعضا من تلك الحكايات المخيفة عن انواع اخرى من الأرواح الشـــريرة المؤذية · وقص علينا جورج حكاية من تلك الحكايات · وبعدها ساد صـــمت لفترة وجيزة ·

علقت قائلا : اعتقد ان ذلك الشخص ، قد عاش حياة

شريرة ، وعندما مات لم تستطع روحه أن تستريح فى سلام .

فوافقنى جورج قائلا : « هذا النوع من الأرواح يعود للحياة لينشر الأذى بين الناس ويتسبب فى وفاتهم » .

فقال جريفين : « لكن ليس من السهل بالنسبة لها أن تفعل ذلك . كما أنه ليس متاحا لكثير من الناس أن تتصل بالأرواح الشريرة . فلابد أن تكون انسانا ذا حساسية خاصة . ومازال لدى القليل من الناس تلك القدرة على رؤيتهم رأى العين . واعتقد ان الروح تتمنى أن تظهر فى هيئة انسانية ليتعرف عليها الناس فى شكلها المألوف » .

قال جورج : « ليس هذا كل شىء ، فالروح لاتستطيع أن تعتمد على امكانية الكلام ، ومن ثم فهى تفصح عن رغباتها بطرق اخرى . فمن الممكن أن تظهر على هيئة شخص ، او ربما تتسلل بهدوء خلال افكار الانسان . لكن مهما يكن الشكل الذى تظهر به الروح ، فهى تحتاج الى نوع من الترحيب الوجدانى ، حتى تحقق النجاح . وبطبيعة الحال ، فان الاعمال الخيرة هى الدفاع الأكيد

ضد اى روح شريرة ، والتى تعد بمثابة سلاح لاتستطيع مقاومته » .

وساد الصمت بيننا ثانية لفترة قصيرة . فقد كنا جميعا نفكر فى قصة جورج . فقد قيل انها حدثت حقيقة ، مما جعلنا نكتم انفاسنا لمدة عشرين دقيقة . وقال احدنا انه لم يسمع من قبل ابدا أن روحا شريرة ظهرت لطفل .

قال دوجلاس : « ذلك بالتأكيد يجعل الأمر اكثر سوءا لكنه حدث من قبل . فربما يكون للأطفال بصفةخاصة حساسية شديدة لمثل هذا النوع من الاثارة والخطر . ولو كان الطفل يضفى على القصة تأثيرا بالغا ، وكأنه نوع من المبالغة ، فما رأيكم اذا كان هناك طفلان ... ؟ »

أجاب واحد منا : « نقول ان طفلين بالطبع يضاعفان من المبالغة فى التأثير . ونحن نريد أن نسمع حكايتهما » .

نهض دوجلاس واقفا وظهره للمدفأة وتطلع الينا **وقال :**

« لا احد غيركم سمع هذه الحكايـــة ابدا · حكاية مرعبة · تفوق التصور »

ــ « هل تقصد بذلك انها ستخيفنا ؟ »

ــ « انها ليست بمثـــل هذه البساطة · وحقيقة انا لا اســـتطيع ان اشـــرح · فسوف تجبركـــم على التفكير . والتخيل ····· »

فصاحت احدى السيدات : « أوه ، رائع ! »

قلت : « حسن اذن ، فلنجلس وتبدأ » ·

ــ « لا أستطيع ان ابدأ · فالقصة مدونة ، وانا لم احضرها معى ، هى فى درج مغلق بشقتى وينبغى على ان أرسل لاحضارها · لم الق عليها نظرة منذ عدة سنوات ·

اصبنا جميعا بالاحباط عندما قال ذلك ·

فواصل كلامه : « ساكتب الى خادمـــى وابعث اليه بمفتاح الدرج ·· وبامكانه ان يرســـلها الينا بمجرد ان يجدها » ·

قلت : « أرجوك افعل · وسوف نستمع الى القصة قبل نهاية الاجازة ·· هل هى تجربة خاصة بك ؟ » ·

ــ أوه ، كلا ، والحمد لله !

ــ « هل هى من تاليفك ؟ هل انت الذى كتبتها ؟ » ·

فربت على قلبه وقال : « كلا ·· لكن الخوف والقبح والألم لهذه القصة يكمن هنا · لم أستطيع نسيانها أبدا » ·

ــ « لكن النسخة ··· ؟ »

ــ « النسخة مكتوبة بحبر باهت قديم بخط غاية فى الجمال » ·

وتردد للحظة وقال : « خط امـــرأة · لقد ماتت منذ عشرين عاما · وارسلت الى الأوراق قبل أن تموت » ·

كان جميعنا ينصـــت له فى تلك اللحظة ، وبالطبع سالته احدى السيدات عما اذا كان قد وقع فى حبها ·

لم يجب دوجلاس · **لكنه قال :** « كانت انسانة فاتنة للغاية ، لكنها كانت تكبرنى بعشر سنوات · كانت مربية أختى » ·

ثم قال بهدوء : « كانت الطف انسانة عرفتها كمربية ، كان ذلك منذ فترة طويلة وحدثت لها هذه التجربة المرعبة ، قبل ذلك بفترة طويلة · كنت وقتها طالبا فى الجامعة ، وقابلتها فى بيت اختى عندما ذهبت لزيارتها فى الصيف · كان صيفا جميلا وتمتعت فيه بشــىء من الحديث معها والنزهات فى الحديقة ·· اه ، اجل ، ليست بكم حاجة الى الضحك · فلقد اعجبت بها كثيرا جدا ، وانا مازلت سعيدا حتى الآن لاعتقادى انها اعجبت بى ايضا · فلو لم تكن كذلك لما روت لى القصــة · فهى لم تقلها لأى احد على الاطلاق ، ليس لأنها قالت ذلك ، بل لأننى كنت اعرف انها لم تقلها لأحد ·· كنت متاكدا من ذلك · وسف تكتشــفون السبب فى ذلك بسهولة عندما تسمعون القصة » ·

سالته : « اكان ذلك بسبب الأشــياء التى اخافتها كثيرا ؟ »

نظر الى دوجلاس مباشرة **وقال :** « سوف تكتشف ذلك بسهولة » ·

ثم ردد قائلا : « انت ، ستكتشف ذلك بنفسك اذا لم يفعل اى انسان آخر ؟ » ·

ـ « فهمت · كانت تحب » ·

ضحك ثم قال : « انت ماهر · اجل ، كانت تحــب ، اعنــى لقد كانت تحب · اكتشفت ذلك ايضا · فلم تكن لتستطيع أن تحكى القصة دون أن تبوح بسرها · وأنا عرفته ، وكانت هى تعرف أننى أعرفه ، لكن لم يتحدث احد منا الى الآخر بخصوص ذلك · »

قلت : « سوف تتسلم الطرد صباح يوم الخميس » ·

ـ « اجل ، محتمل · »

ـ « اذن ، فبعد العشاء يوم الخميس يمكنك ··· !

فقال دوجلاس : « ساقراها لكم » ·

سالت احدى السيدات : « من الذى كانت تحبه ؟ »

فاجبت انا : « سنعرف ذلك من القصة » ·

ـ « أوه ، لكننى لا أستطيع انتظار القصة ! »

قال دوجلاس : « لن تكشف القصــة عن ذلك ، على الأقل ليس بالطريقة المعهودة » ·

– « هذا ظلم • فهذه الطريقة الوحيدة التى افهم بها » •

وتساءل شخص آخر : « إذن لن تقول لنا يادوجلاس » .

– « أجل •• غدا •• الآن ينبغى أن اذهب الى الفراش • ليلة طيبة » !

وتركنا فجأة •

وما ان سمعنا خطواته على السلم ، حتى قالت السيدة جريفين :

– فى الحقيقة ، انا لا اعرف من الذى كانت تحبه ، لكننى أعرف انه كان يحبها •• !

فقال زوجها : « لقد كانت تكبره بعشرة أعوام • »

– « مازال ذلك سببا معقولا •• فى سنه هذه ! لكن صمته الطويل شىء لطيف جدا اليس كذلك ؟

قال جريفين : « اربعون عاما ! »

قلت : « غدا مساء سوف نستمع الى المزيد عن

القصة ، وبعد ذلك نستمع الى القصة باكملها يوم الخميس • »

بعد ذلك القى كل منا على الآخر تحية المساء وذهبنا للفراش •

فى اليوم التالى علمت ان رسالته التى بها المفتاح ، قد أرسلت على عنوانه فى لندن فى بريد الصباح • وتركناه وحيدا الى مابعد العشاء ، بعد ذلك كنا مشوقين لسماع المزيد عن القصة • وكان هو على استعداد تام ليواصل تقديمه للقصة • قال ، أنه لابد حقيقة من ضرورة قول بعض الكلمات القليلة اذا كان لنا أن نفهم القصة بشكل مناسب •

قال دوجلاس : « ان النسخة الخطية التى كتبتها صديقتى تبدأ بعد فترة قصيرة من التمهيدات الأولية التى قمنا بها • وينبغى عليكم أن تعرفوا بالضبط ماذا كانت هذه التمهيدات •

« كانت الابنة الصغرى من عدة بنات لأب فقير يعمل قسيسا فى الريف ، وفى سن العشرين تحتم عليها أن

تكسب قوتها بنفسها · فقررت أن تصبح مربية أطفـــال ، وسرعان ما قرأت اعلانا يناسبها فى أحد الجرائد اللندنية فكتبت اليه وتلقت ردا بدعوتها لمقابلة صاحب الاعلان فى بيته بشارع هارلى ·

« وهكذا سافرت الى لندن وتوجهت مباشـــرة الى شارع هارلى · وبهرها حجم البيت وجماله ·· لكن ليس ليس اكثر من صاحب البيت الشاب نفسه · فلم تكن تلك الفتاة الريفية المرتبكة قد رأت رجلا أبدا طوال حياتها ، الا فى احلامها · كان مظهره رائعا جسورا ، لطيفا ، مرحا وعطوفا · كان شابا ، وغير متزوج :

« لكن الشىء الذى أعجبها كثيرا فيه ، هو أنه التمس منها أن تقبل العمل من أجل خاطره · وقال انه سيكون فى منتهى الامتنان لو أنها ساعدته · وأعتقد أنه كان لطلبه هذا أثر كبير فى الشجاعة التى أظهرتها فيما بعد ·

« تبين لها انه ثرى · فملابسه الفخمة ، على الأقل تدل على ذلك ، كما ان البيت الفخم يثبت انه ينفق مبالغ

كبيرة · لم يطلب منها أن تبقى فى لندن ، بل تمنى لو أنها تذهب فى الحال الى بيته الريفى الذى يبعد سبعين ميلا ·

« أخبرها بأنه وصى على ابن وابنة أخيه الصغيرين اللذين مات عنهما والداهما فى الهند · وصرح لها بأنـــه ليس من ذلك الصنف من الرجال ، الذى يستطيع أن يكون مسئولا عن أطفال · خاصة وأنه ليس متزوجا وليست لديه خبرة باحتياجاتهم ، ولا الصبر الكافى لذلك · ولاشك أن كل ذلك كان يسبب له ارتباكا كبيرا ، مما جعله يقع فى أخطاء كثيرة · لكنه كان يشعر تجاههما بعطف كبير ويبذل أقصى ما فى وسعه · ولهذا فقد أرسلهما الى بيته الريفى ، لأن الريف كان أنسب مكان لهما · وأرسل معهما أفضل من اســـتطاع الاســـتعانة بهم لرعايتهما ، بالاضافة الى بعض خدمه الخصوصيين · وكان يزور المكان عندما تسمح له الظروف ليرى كيف يسير حالهما ·

« الصعوبة الكبرى كانت تكمن فى عدم وجود أقارب آخرين ، كما أن أعماله الخاصة كانت تستغرق كل وقته · لكن منزله الريفى فى « بلاى » كان أفضل وأصح مكان ،

خاصة مع وجود السيدة « جروز » مديرة البيت هناك ، وهى سيدة ممتازة ، كانت خادمة امه من قبل · بالاضافة الى عدد من الناس يقومون بالمعاونة ، لكن بطبيعة الحال ستكون الفتاة التى ستذهب الى هناك بمثـــابة مربيـــة للأطفال ، هى المشرفة على كل شئون البيت ·

« كان واجبها الأســـاس يكمن فى رعـــاية البنت الصغيرة ·

وكذلك رعاية الصبى الصغير أيام الاجازات · وكان هذا الصبى فى مدرسة نائية منذ عدة شهور ، ولسوف يعود الى البيت خلال اسبوع او عندما تبدأ الاجـــازة · كان لدى الطفلين مربية قبل ذلك ، لكنها ماتت لسوء الحظ · ولقد كانت تلقى القبول والأحترام حتى وفاتها ، ومن ثم ترتب على ذلك ارسال الصبى مايلز الى مدرسة بعيدة ·

« ومنذ ذلك الحين ، كانت السيدة جروز تبذل غاية جهدهـــا لرعاية الطفلـــة الصـــغيرة فلورا وتعلمها آداب السلوك ·

وكان يوجـــد فى « بـــلاى » كذلك طباخ وخادمـــان

وبســـتانى عجوز ، وحوذى لقيادة العربة ، وكانوا كلهـــم يتمتعون بالثقة والاحترام » ·

عند هذا الحد توقف دوجلاس طويلا ، ايتيح الفرصة لأحدنا أن يسأل · « ماهو سبب موت المربية السابقة » ؟

فأجاب : « سوف يتضح ذلك من خلال القصة » ·

فقلت : « لو اننى كنت مكان صديقتك ، فلابد أن الشك كان ينتابنى ، وكنت سألت السيد عما اذا كانت المربيـــة فى « بلاى » » ·

فاكمل دوجلاس ماكان يدور فى ذهنى : « ··· تخاطر بفقدأن حياتها ؟ بالطبع ، كانت تريد أن تعرف ذلك ، وسوف احكى لكم غدا ماعرفته ولقد انتابتها بعض الشكوك الفظيعة فى ذلك الوقت · كانت شابة صغيرة وقلقة · وكانت تلك اول وظيفة لها · ومسئولياتها لابد أن تكون جسيمة ، ولن يكون لها أى رفيق فى « بلاى » ·

ترددت ثم طلبت عدة أيام لتفكر فى الأمر · ولما كان

المرتب الذى حدد لها اكبر بكثير مما توقعت ، فقد قبلت الوظيفة عندما قابلت السيد فى المرة الثانية » ·

قلت : « السبب واضح · فلقد وقعت فى حب ذلك الشاب الرائع ، ولم تستطع رفض طلبه » ·

نهض دوجلاس واتجه ناحية المدفاة · وتوقف لحظة او لحظتين وظهره لنا ، وقال : « لقد رآته مرتين فقط » ·

ـ « نعم ، لكن ذلك أروع مافى حبها » ·

فالتفت الى دوجلاس وقال : « هذا صحيح · هذا أروع مافيه · فلقد تقدمت نساء أخريات للوظيفة ورفضنها ، فقد خفن من الظروف المحيطة بالعمل ، الذى بدا بالنسبة لهن كئيبا وغريبا ، هذا بالاضافة الى أن شرطه الأساسى جعلهن يتخوفن · »

ـ « وماذا كان شرطه الأساسى ؟ » ·

ـ « الا تسبب له أى ازعاج على الاطلاق · فلا ينبغى ان تشكو ابدا ، او حتى تكتب اليه بخصوص أى شىء · وأن

تواجه كل المشاكل بنفسها ، وتتحمل كل المسئولية تجاه الأطفال و « بلاى » ، تتلقى كل ماتريده من نقود من محاميه ، أى ببساطة تتركه فى حاله · ووعدته أن تفعل كل ذلك · وقالت لى ، أنه فى اللحظة التى أمسك فيها يدها ليشكوها ، شعرت بأنها نالت جائزة ·

سألت احدى السيدات : « لكن هل كان ذلك كل ماحصلت عليه ؟ »

ـ « لأنها لم تره مرة ثانية » ·

فقالت احدى السيدات : « أوه » ·

وأعتقد ان هذه كانت الكلمة الوحيدة فقط التى كان يمكن أن تصدر عن أى واحد فينا تعليقا على الموضوع حتى الليلة التالية ·

فى مساء الخميس تجمعنا بعد العشاء حول المدفاة ، واتحنا لدوجلاس فرصة الجلوس على اكثر المقاعد راحة · وكان يضع تحت ذراعه كتابا أحمر غير سميك ، غلافه كالح

ثم بدأ يفتحه ببطء · واستغرقت القصة عدة ليال ، لكن فى اول فرصة سنحت سألته نفس السيدة سؤالا آخر :

ـ « ماعنوان القصة ، يادوجلاس ؟ »

ـ « ليس هناك عنوان » ·

قلت : « أوه ، بل يوجد عنوان ! »

ولم يهتم دوجـــلاس بملاحظتى · وبدأ يقرأ بصـــوت واضح ···

- ١ -

فى اليوم التالى لزيارتى الثانية لذلك البيت فى شارع هارلى عاودتنى كل شكوكى مرة ثانية · واحسست تماما اننى اخطأت ·

رحلت من لندن بنفس تلك الحالة الذهنية ، ووصـــلت الى قرية تبعد عن « بلاى » عدة أميال ، بعد ظهر يوم دافىء من شهر يونيو · كانت عربة البيت فى انتظارى · ورفـــع باقى مشوار الرحلة روحى المعنوية ، لأن المنطقة كانت من أجمل مناطق الريف ، وأحسست بنوع من الترحيب الحميم هناك · وعندما استدرنا داخل الحديقة ورأيت البيت لأول مرة ، ذابت كل مخاوفى ·

كان بيتا ذا واجهة عريضة مشرقة ، ونوافذ عريضـــة مفتوحة ، وستائر ناصعة البياض ·



ورايت البيت لأول مرة ..

وكان اثنان من الخدم يطلان من النوافذ ، يرقبان العربة .

مازلت اذكر العشب الأخضر ، ومئات الزهور ، وضجة عجلات العربة فوق الممر وذلك الهدوء الذى يتصف به المكان .

كان المشهد عظيما ولايقارن ببيتنا الفقير المتواضع . وعندما توقفت العربة ظهرت عند الباب امراة بشنوشة تمسك فى يدها طفلة صغيرة . قامت بتحيتى كما لو كنت سيدتها أو زائرا مهما .

عندما كنت فى شارع هارلى اخذت فكرة مختلفة تماما عن « بلاى » ، اما الآن فقد بدت لى صورة ذلك الرجل أروع مما كنت اظن أول مرة .

وحقيقة فلقد استمتعت بالساعات التى تلت ذلك . ففلورا الصغيرة كانت بنتا مدهشة ، وشعرت باننى محظوظة لكى تكون تلميذة لى .. كانت اجمل طفلة رايتها فى حياتى واندهشت بعد ذلك عن السبب الذى جعل السيد لايخبرنى بذلك .

ومن فرط سعادتى لم أستطع النوم جيدا تلك الليلة ·

كانت حجرة نومى كبيرة ، ومن أحسن الحجرات فى البيت · والسرير نفسه كان من ذلك النـــوع الذى يمكن للانسان أن يراه فى القلاع · ولأول مرة فى حياتى استطعت أن أرى نفسى من أخمص قدمى الى قمة رأسى فى مـرآة كبيرة · لقد كانت كـل هذه الأشـــياء ـ غير متوقعة على الاطلاق ·· مثلما لم أكن أتوقع جمال البنت الصغيرة ·

وكان من غير المتوقع أيضا أن أتوافق مع الســيدة جروز منذ الوهلة الأولى · فلقد كان لدى بعض القلق تجاه علاقتى بمديرة البيت ، لكن لم يكن ينبغى أن أشعر هكذا ·

كانت امرأة كبيرة ، بسيطة ، واضحة ، نظيفة وأمينة ·

وبدت فى منتهى الســعادة لرؤيتى · وحقيقة ، وبعد مضى نصف ساعة ، أحسست أنها تحاول أن تخفى مدى سعادتها لرؤيتى ، فتساءلت لماذا ·

أما بالنسبة للطفلة الصغيرة فلم أشعر بأى نوع من القلق تجاهها ، فلقد كان مما يســعدنى حقا ، أن أقـوم

بالتدريس لها · فكرت فيها كثيرا فى تلك الليلة الأولى ، وهذا ما جعلنى متيقظة بالاضافة الى اضــطرابى · كنت أنهض عدة مرات وأتجول فى أنحاء الحجرة وأتطلع الى الأثاث والستائر والبوادر الأخرى التى تدل على حســن حظى · رأيت تباشير الصباح وسمعت تغاريد الطيور الأولى من خلال نافذتى المفتوحة · وقبل ذلك بفترة سمعت أصواتا أخرى صادرة من داخل البيت ، وأصغيت مرة أخرى عسى أن تتكرر مرة ثانية · وذات مرة تعرفت على الصوت ، فقد كان صرخة طفل واهنة آتية من بعيد · وبعد ذلك سمعت صوت خطوات خفيفة فى الروضة الموجودة خارج غرفتى · لكن هذه الخزعبلات لم تكن بالدرجة التى يمكن أن تزعجنى فى ذلك الوقت · وأنا أذكرها فقط الآن لأن لها ارتباطا بما حدث بعد ذلك ·

لم يكن واجبى فى « بلاى » ينحصر فى تعليم فلورا ، بل فى العناية بها كلية · كنت غريبة فى هذا البيت ، وكانت الطفلة قلقة بعض الشىء بطبيعة الحال · لكن السيدة جروز كانت قد اتفقت معى ، على أن تنام فلورا معى فى حجرتى

بعد هذه الليلة الأولى : فاحسست يقينا انها سرعان ما تتوافق معى ·

اعجبت بسلوك الطفلة الصغيرة اثناء العشاء ، ولم تستطع مديرة البيت أن تخفى سعادتها بذلك · وتحدثنا بطبيعة الحال عن الطفلة بطريق غير مباشر فى وجودها ، لكننا كنا نفهم بعضنا تماما ·

ـ وتلميذى الآخر ·· هل يبدو مثلها ؟ أهو أيضا ···

ـ أوه ، ياأنسة ، فى الحقيقة هو كذلك · لو انك تظنين خيرا فى هذه البنت ···

ثم توقفت السيدة جروز هناك وفى يدها طبق وهى تبتسم :

ـ نعم ، لو اننى أفعل ···

ـ سيتعاطف معك السيد الصغير !

ـ حسن ، ولسوء الحظ سرعان ما اتعاطف بسرعة · فلقد حدث لى ذلك فى لندن ·

ـ تقصدين فى شارع هارلى ، ياأنسة ؟

ـ نعم !

ـ أوه ياانسة ، لست انت أول شخص يشعر بذلك نحوه ولن تكونى الأخيرة !

ضحكت وقلت : أوه ، انا اعرف ذلك جيدا ·· متى سيعود الصبى الصغير الى البيت ؟

ـ بعد باكر · ستقابله العربة فى القرية ·

واتفقنا على ضرورة ذهابى مع فلورا لمقابلة شقيقها · وكان ذلك هو ثانى شىء اتفق فيه بسهولة مع السيدة جروز · وأعتقد أن ذلك ساعدنا نحن الاثنين ·

كانت خطتى فى اليوم التالى أن أعطى الطفلة فرصة لتعرفنى افضل · فطلبت منها اذا كانت ترغب ، وكنوع من الجميل بالنسبة لى ، أن ترينى بنفسها البيت وما حوله · وكانت سعادتها بالغة بذلك ·

فأرتنى البيت مكانا ومكانا ، وحجرة حجرة ، حتى الأماكن المختفية منه ، وكنا اثناء ذلك نتحدث حديثا وديا ·

وكانت النتيجة اننا اصبحنا اصدقاء بعد مضى نصف ساعة ٠

خلال جولتنا فى المكان لفت نظرى ثقتها فى نفسها وشجاعتها ٠ فاحيانا كنت اتردد فى الدخول عند مدخل احدى الغرف الخالية او عند ممر مظلم ، اما هى فلم تكن تتردد أبدا ٠ حتى عندما وصلنا الى قمة البرج القديم المربع الذى أرعبنى ، كان صوتها مجلجلا وهى تقودنى ٠

منذ اليوم الذى غادرت فيه « بلاى » لم أرجع اليه أبدا ٠ كنت شابة آنذاك ، وخبرتى قليلة بالحياة ٠ فبدا لى البيت آنذاك ضخما ورائعا وذا أهمية ، فى حين انه يبدو لى الآن بيتا ريفيا عاديا ٠ لكن عندما كانت مرشدتى تمضى أمامى راقصة فى أرجاء البيت وردهاته ، فقد خيل لى ساعتها انه قلعة رائعة ٠ كان الأمر بمثابة رواية سقطت نائمة وانا اقرأها ٠

وبعد الغداء تبدلت وجهة نظرى بالنسبة للبيت ٠ كان « بلاى » بيتا كبيرا وغير جميل ، لكنه مريح ٠ كانه بمثابة سفينة ضخمة عليها نصف دستة من المسافرين ، والغريب فى الأمر اننى قائدة هذه السفينة !

- ٢ -

فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وصل البريد ٠ كانت هناك ورقة صغيرة من السيد تحوى مظروفا مغلقا موجها اليه على عنوانه ٠ كانت الورقة تقول : « هذا الخطاب المغلق من ناظر مدرسة « مايلز » ، أرجو أن تقرأيه، وتتفاهمى معه ٠ ولا تخبرينى بأى شىء ٠ لا أريد أن أسمع كلمة واحدة ! » ٠

لم أفتح الخطاب الا حين ذهبت الى الفراش ٠ وكم تمنيت ان كنت تركته الى الصباح ، لأنه أصابنى بالأرق ليلة اخرى ٠ بعد ساعة من تناول الافطار قررت أن أتحدث مع السيدة جروز بخصوص الخطاب ٠

قلت : « لقد طرد مايلز من المدرسة ، ما رأيك فى ذلك ؟

لاحظت تعبير وجهها على الفور · فربما لم تزعجها هذه الأخبار · ثم بدا عليها كما لو انها لم تفهم الأمر ، **فسألت** : « لكن الا يغادر الأولاد المدرسة عند بدء الأجازة ؟

ـ أجل ·· ايام الأجازات فقط · لكن مايلز لن يعود الى المدرسة على الاطلاق ، لقد فصل !

احمر وجهها وقالت : « ألن يأخذوه ثانية ؟ »

ـ يرفضون رفضا تاما ·

امتلأت عيناها بالدموع **وقالت** : « ما الذى فعله »

ناولتها الخطاب · لم تأخذه منى ووضعت يدها خلف ظهرها وهزت راسها · وقالت :

ـ هذه المسائل ليست من اختصاصى يا انسة !

عرفت عندئذ انها لاتستطيع القراءة · واحمر وجهى بسبب غلطتى ، وفتحت الخطاب لأقراه لها · لكننى لم استطع فعل ذلك · وكل ما استطعت قوله : « انا اتساءل عما اذا كان الأمر سيئا » ·

كانت الدموع مازال فى عينيها ، **وقالت** « هل الخطاب يقول ذلك ياآنسة ؟ »

ـ « لاتوجد تفاصيل · فالناظر بكل بساطة يأسف لعدم امكان عودة مايلز الى المدرسة · وهذا يحتمل معنى واحدا ، انه ولد مؤذى بالنسبة للاولاد الآخرين » ·

التفتت الى فى غضب **وقالت** : « سيدى مايلز مؤذى بالنسبة للاولاد الآخرين ؟ !

لم اكن قد رأيت الولد من قبل · لكن كان هناك فيض من الثقة فى كلماتها حتى اننى صدقتها · **فقلت** : « أجل ، أجل · انا لا أستطيع ادراك الموضوع على الاطلاق »

ـ بالطبع ، ان قول كلام مثل هذا فى منتهى القسوة والظلم ·· انتظرى حتى ترينه يا انسة ·· ثم صدقى الأمر اذا استطعت » ·

احسست لحظتها بفضول شديد لرؤيته · ومن المحتمل ان السيدة جروز أدركت ذلك ، **فواصلت كلامها على الفور** : هل تصدقين مثل هذا الكلام عن فلورا ؟ تطلعى اليها فقط ! »

قبل ذلك بعشر دقائق كنت قد تركت فلورا فى حجرة الدراسة ، مشغولة بواجب الكتابة الذى اعطيتــــه لها · وعندما استدرت فى تلك اللحظة وجدتها تقف بباب الحجرة المفتوح ، فى مواجهتنا · وبدا فى عينيها كأنهـــا تقول : « ظننت انه من اللطيف أن اتبعك ، أما الواجب فبامكانى ان اقوم به فيما بعد » ·

فى نفس ذلك اليوم أخذت اتحين فرصة للحديث مع السيدة جروز مرة ثانية · لكن كان على الانتظار حتى وقت المساء ، حين تبين لى أنها كانت تحاول أن تتجنبنى · وحدث أن قابلتها على السلم ·

سألتها : « هل صحيح انك لم تكونى تعرفين أبدا ان مايلز ولد سيىء » ·

ـ اوه ، كلا ، يا آنسة · لا استطيع ادعاء ذلك ·

ـ اذن فانت تعرفينه ···

ـ اجل اعرفه تماما ، يا الهى !

ـ تعنين انه لم يكن أبدا ولدا سيئا ··

ـ لم يولد له مثيل ابدا ، يا آنسة !

وافقتها على ذلك ، وقلت : « لكن يعجبك منهما أحيانا بعض الشقاوة ، اليس كذلك ؟ ولم أعطها فرصة للاجابـــة فواصلت ؟ هكذا افعل انا ؟ ! لكن ليس الى حد الاساءة الى الاطفال الآخرين » ·

عند ذلك ضحكت وقالت : « هل انت خائفة من أن يكون له تأثير سيىء عليك ؟ » ·

وجهت الى هذا السؤال بنوع من الجسارة حتى انني ضحكت ·

وفى اليوم التالى وقبل ان أذهب لمقابلة مايلز كان لنا حديث هادىء طويل ·

قلت : « بالنسبة للمربية التى كانت هنا قبلى ·· ماذا كان شأنها ؟ »

ـ المربية السابقة ؟ كانت شابة لطيفة ·· فى مثـــل جمالك وشبابك تقريبا ، يا آنسة ·

فقلت ضاحكة : « آه ، اتمنى ان يكون جمالها وشبابها

قد ساعدها ، اذ يبدو وأنه يعجبه فينا ، ان نكون فتيات جميلات ! »

فوافقتني قائلة : « أوه ، ذلك اسلوبه بالفعل · هو يفعل ذلك ·

لكن عندما قالت ذلك بدا انها ندمت على ما قالته ·· **فاضافت بسرعة :** « اعنى ذلك هو اسلوبه ·· اسلوب السيد » ·

فى اللحظة التالية لم انتبه الى ان ما قالته مصادفة كان اكثر مما كانت تريد ان تقوله · فسألتها فقط عما كنت اريد ان اعرفه · « هل كان بينها وبين مايلز اى نوع من المتاعب »

ـ لم تقل لى مطلقا ·

ـ هل كانت انسانة حريصة ؟

وبدت السيدة جروز وكانها تستحث ضميرها ثم قالت :

« اجل ·· بخصوص بعض الأشياء !

ـ لكن ليس بخصوص كل شىء ؟

فترددت مرة ثانية : « هيه ، ياآنسة ·· لقد مضت لحال سبيلها · ولا اريد ان اقول اى شىء بخصوصها » ·

ـ أنا حقيقة اقدر مشاعرك · لكن لايفيدك أن تخبرينى عن شىء ·· هل ماتت هنا فى « بلاى » ؟!

ـ كلا · رحلت عن هنا ·

احسست بأن لى الحق فى معرفة ماحدث للمربية السابقة · اعرف عما اذا كان المكان او العمل قد تسبب فى مرضها ، اذ ربما يحدث لى ماحدث لها · « هل تعنين انها مرضت هنا وكان ينبغى ترحيلها الى بلدها ؟ »

ـ لم تصب باى مرض هنا ، على قدر ما رأيت ، فى هذا البيت · لقد رحلت عنا فى نهاية العام لتذهب الى بلدها فى اجازة قصيرة · ولم يكن فى ذلك شىء غير عادى وكان لفلورا ممرضة خاصة فى ذلك الوقت ، فقامت برعاية الطفلين فترة غياب المربية · لكن الفتاة لم تعد ابدا · وفى الوقت الذى كنت اتوقع فيه حضورها وصل خطاب من سيدى يخبرنى فيه انها ماتت !

ـ وما السبب فى موتها ؟

ـ لم يخبرنى به اطلاقا ! ·· لكن عفوا ، يا آنسة ، فلابد أن اعود الى عملى الآن !

- ٣ -

عندما وصلت الى فندق القريـــة ، كان مايلز ينتظر هناك • كانت تبدو عليه مظاهر النضارة والشرف ، وذلك ما أعجبت به كثيرا جدا • تطلعت اليه فوجدته فى مثل جمال شقيقته • لكن عندما تذكرت خطاب ناظر المدرسة أصبت بحيرة ، بل حتى بشىء من الاهانة • لقد كانت السيدة جروز على صواب ، فالولد لايستطيع أن يرتكب أخطاء جسيمة • اذ يبدو عليه أنه لايعرف شيئا سوى الحب •

وبأسرع مايمكن رتبت لقاء خاصـــا مع مديرة البيت لأدلى لها برايى قلت : « انا متاكدة ان الأمر كله هراء ! » •

ـ تقصدين هذه التهمة القاسية ؟ !

ـ أجل • لابد انهم اخطأوا •

ـ اذن ماذا ستفعلين ؟ هل ستردين على الخطاب ؟ !

قلت لها بعد ان حسمت امرى : « كلا · لن افعل اى شىء على الاطلاق » ·

ـ لكن هل ستجبرين عمه ؟

ـ كلا · فهو لايريد سماع كلمة !

ـ وماذا عن مايلز نفسه ؟

ـ لاينبغى ان اخبره باى شىء هو ايضا ·

ـ اذن ساقف الى جانبك ، يا آنسة · سوف نتدبر الأمر معا !

ـ عظيم ! وتصافحنا بالايدى لتاكيد هذا الاتفاق ·

لم تكن المسالة بمثل هذه السهولة كما تصورت · فقد شعرت بنوع من الشفقة الكبيرة تجاه الطفلين مثل عمهما فى شارع هارلى ـ وخاصة بالنسبة للولد · لقد احببتهما هما الاثنين جدا ، وربما كان لذلك تاثيره فى حكمى عليهما ان معرفة مايلز بالحياة كانت فى بدايتها ، ولم اكن كفؤا

تماما لكى أمده بها · ولا أستطيع تذكر الخطط التى وضعتها لدراسته فى نهاية الاجازة · كلنا كان يرى أنه لابد وأن توجد دروس ، وأنا أشعر الآن أننى كنت الشخص الوحيد الذى تعلم خلال تلك الأسابيع !

ولأول مرة فى حياتى عرفت اللهو ، بل حتى كيف الهو ولا افكر فى المستقبل · لم اكن أعرف من قبل مثل هذه الحرية والرحابة ، كما لم يكن لدى الوقت لسماع موسيقى الصيف ومعرفة كل اسرار الطبيعة ·

غير أننى كنت أحظى باحترام كبير ورعاية حسنة ·· كان الطفلان رائعين ··

ولم تصدر عن الطفلين أى متاعب على الاطلاق ·

وكان اكثر ما احببت فيهما فى ذلك الوقت ، هو رقتهما وحسن اصغائهما · كانت صحتهما على مايرام تماما وكذلك فى اكمل سعادة · ويقومان بفعل اى شىء أطلبه منهما · ومازلت اذكر تلك الأسابيع وكأنها فترة من الهدوء والسلام العظيم · لكننى الآن تاكدت ان ذلك الهدوء كان بمثابة الترقب الذى يستعد به الحيوان للقفز ·

كانت أيام الصيف طويلة · وعندما كان تلميذاى ينتهيان من تناول العشاء والذهاب الى الفراش ، تعودت أن استمتع لمدة ساعة بمفردى · كنت أقضيها غالبا فى التمشى فى ارجاء البيت أو فى الحديقة ، مستمتعة بجمال البيت والحدائق · فى تلك اللحظات كان يسعدنى أيضا أن أفكر فى السيد الذى كان يقطن فى شارع هارلى · لقد كنت أنفذ كل ماطلب منى أن أفعله ، وتمنيت أن أكون قد قمت به على أكمل وجه · ودائما ما كنت أتخيله يظهر فجأة فى أحد اركان البيت أو أحد الممرات ، يقف قبالتى بابتسامته المشرقة ويثنى على عملى · كل ماكنت أتمناه فقط هو ان يعرف ، وأفضل طريقة للتأكد من أنه قد عرف ، هى حضوره الى هنا ، ورؤية ذلك منعكسا على وجهه ·

وفى نهاية يوم من تلك الايام الطويلة ، وفى احدى هذه المرات كان وجهه يلوح فى مخيلتى هكذا بالضبط فخرجت من بين مجموعة من الأشجار وأصبح البيت كله فى مواجهة بصرى · وقفت ساكنة بلا حراك فقد اعتقدت بنوع من الدهشة ان خيالاتى اصبحت حقيقة · كان يقف هناك ! ليس

فى الممر ، بل هناك على قمة البرج المربع الذى تسلقته مع فلورا ·

وأعقبت تلك الدهشة دهشة ثانية · فلم يكن الرجل الذى رأيته هو الشخص الذى فى مخيلتى · كان غريبا عنى تماما · وفى اللحظة التالية ، اكتشفت ان الحديقة أصبحت هادئة جدا فجأة · سكنت رياح المساء ، وتوقفت الطيور عن التغريد ، لكن لم يكن هناك تغير آخر فى مظاهر الطبيعة فالشمس الذهبية الغاربة مازالت موجودة فى السماء ، والصفاء مازال موجودا فى الجو ، والرجل الذى كان يتطلع الى كانت معالمه واضحة وكأنه صورة فى اطار ·

استرجعت بسرعة ملامح الأشخاص الذين أعرفهم ، لكنه لم يكن من بينهم · تطلع كل منا الى الآخر عبر اتساع الحديقة . ولفترة تكفى لأسأل نفسى عدة مرات عمن يكون · لكن لم يكن فى استطاعتى أن أعرف ، وأخذت حيرتى من فشلى هذا تغدو أقوى كل لحظة ·

فى مثل هذه الأحوال ، فان السؤال المهم الذى يعقب وقوعها ، هو كم استغرق هذا الأمر · وبينما كنت أراقب

هذا الشخص كانت العديد من أسماء الناس الذين أعرفهم تجارا أو خدما تمر عبر رأسى · وظل الآمر لفترة حتى وصلت الى حقيقة أنه ربما يكون شخصا من أهل البيت لم أره على الأطلاق ·

وتساءلت عندئذ كم مضى من الوقت على وجودد معنا ضايقتنى تلك الفكرة ، على ما أذكر ، لأننى كنت المسئولة عن « بلاى » ·· ولابد أن أكون قد قابلت كل فرد فيــه ، وتيقنت أنه كان ينظر الى ، كما لو أنه كان يسأل نفســه بالضبط نفس الأسئلة · ولو أننا كنا قريبين من بعضنا ، فقد كان من الممكن أن تكون صــيحة أو نداء هى النتيجة المنطقية لنظراتنا الطويلة ·

كان يقف فى أحد زوايا البرج ، لكن بعد دقيقــة غير مكانه ببطء · ثم اتجه ناحية الركن الآخر وهو مازال ينظر الى ، لكن لفترة قصيرة · وبينما كان يبتعد كانت عيناه لاتزالان مثبتتان على بشده · وابتعد ، كان ذلك كل ماعرفته !

- ٤ -

كانت أول فكرة خطرت على بالى ، انه ربما يكون هناك سر فى « بلاى » ، من المحتمل أن العائلة لديها قريب مجنون تخجل منه ، واحتجزته هناك فى السر ، كأنه سجين · كانت تلك هى احدى الأفكار التى انتابتنى ولم أعرف كم من الوقت وقفت هناك وأنا فى منتهى الضيق بسبب الفضول والخوف · وعندما عدت الى البيت كان الظلام قد حل تقريبا ·

كانت السيدة جروز هناك فى استقبالى ، وكان يبدو على وجهها شىء من الجزع،فعرفت أنها افتقدتنى · وعندما زال جزعهـــا ، عاد اليها تعبير وجهها العــادى الطيب الصادق ، وحينما تطلعت اليها حينئذ ، تأكدت أنها لــم تكتشف شيئا مما قد رأيته · فترددت وبعد لحظة قررت ألا أخبرها ·

ابديت بعض الاعذار لتاخيرى بالخارج وتوجهت الى غرفتى ٠

كانت حجرتى هى المكان الآمن الوحيد الذى استطعت ان افكر فيها بصفاء لعدة ايام ٠ لم اكن خائفة بعد ، لكن الذى كان يرهقنى هو التفكير فى اننى ربما أصبح خائفة ٠ بحثت عن بعض التفسيرات لهذا الحـادث ، كما أعطيت اهتماما اكثر للاشياء العادية التى تجرى فى البيت ٠ ذلك ان الصدمة التى تعرضت لها ارهقت كل حواسى ٠

وبعد انقضاء ثلاثة ايام تاكدت من عدم وجود الغرباء يعيشون فى السر بأعلى البرج ٠ ولم أستطع أن أصدق ان ماتعرضت له قد يكون نكتة عملية رتبها الأطفال او الخدم ٠ واحسست يقينا انه ليس هناك احد اخر فى البيت عـرف اى شىء عن الزائر الغريب ٠

كان هناك احتمال واحد فقط يمكن حدوثه ؟ وهو ان شخصا ما دخل البيت دون ان يراه أحد ٠ ربما يكون سائحا مغرما بالبيوت القديمة ، دخل الى البيت وصعد الى البرج ، واستمتع بالمنظر ثم انصرف فى هدوء ٠ لكن ان يفعل ذلك

فتلك جرأة منه ، والأكثر جرأة فى الأمر نظرته الطويلـة القاسية الى ٠ على أى الأحوال فلقد انتهى الموضوع ولن يعود الى هنا مرة ثانية ٠

قررت أن انسى متاعبى بأن أعطى كل وقتى وفكـرى لعملى ٠ ولم يكن ذلك صعبا ٠ فقد كان مايلز وفلورا يمثلان بالنسبة لى سعادة وبهجة عظيمة ٠ خاصة وأن عمل المربية عادة مايكون عملا مملا ، لكنى أحسست بنوع من الرضا التام فيه ٠

كان الطفلان يهبانى متعة فى كل شىء ، وفى كل يوم كنت اكتشف أشياء جديدة ٠ لكن ذات يوم لم اكتشف اى شىء على الاطلاق ؟ لأن مايلز لم يخبرنى بأى شـىء عن مدرسته ٠ ربما أنه حل اللغز دون أن يقول كلمة ٠ كان سلوكه ممتازا ، ولم أستطع حقيقة أن أصدق ببساطة أن ثمة طفلا مثله يستطيع فعل أشياء سيئة ٠

كنت متاكدة من ذلك تماما لأنه لم يفعل اى شىء أبدا يستحق عليه العقاب ٠ ولو انه كان شريرا ، فلا بد أنه



وتعرفت عليه فى الحال ٠٠ !

كان سيعانى من ذلك ، ولكنت رأيت بوادر الم او خجل على وجهه ٠ لكننى لم اجد شيئا سوى السعادة ٠ كان هناك نوع من السحر فى هذين الطفلين جعلنى انسى شكوكى وآلامى ٠

مازلت اذكر يوم الأحد الثانى من شهر يوليو ، فقد كان صباحه ممطرا ولم نستطع الذهاب الى الكنيسة ٠ واتفقت مع السيدة جروز أن نذهب سويا فى المساء اذا توقف المطر ولحسن الحظ توقف المطر ، فهيأت نفسى لنذهب الى القرية وعند نزولى على السلم تذكرت حقيبتى التى تركتها فى حجرة الطعام وقت تناولنا الشاى ٠ فذهبت لأحضرها ٠ كانت خطوه واحدة داخل الغرفة فيها الكفاية ، فلقد رأيت حقيبتى فوق أحد المقاعد بالقرب من النافذة العريضة ، التى كانت مغلقة ٠ ورايت كذلك شخصا يقف خارج النافذة ويطل مباشرة الى الداخل ، وتعرفت عليه فى الحال ٠ كان نفس الرجل الذى ظهر لى من قبل فوق البرج !

لم تكن صورته اوضح بالنسبة لى ، عكس ماحدث فى المرة الأولى ، لكنه كان بالتاكيد اكثر قربا منى ٠ جعلنى

منظره اكتم انفاسى واصاب ببرودة . كان وجهه ملتصقا بالزجاج . نظر الى ، وعرفت انه تعـــرف على . لكننى شعرت كما لو أننى كنت رايته منذ اعوام وأننى اعرفه منذ فترة طويلة . وحدث شيء هذه المرة لم يحدث من قبل ؟ وهو ان عينيه ابتعدتا عنى للحظات قليلة ، ولخذتا تتطلعان فى انحاء الغرفة .

وتاكدت فى التو انه يبحث عن شخص آخر ، وانه لم يحضر من أجلى .

وكان لمعرفة ذلك اثر غريب على . اذ نتج عنه احساس بالواجب والشجاعة . فاندفعت خارجة من الحجـــرة الى الصالة ثم الى الخارج . ولففت حول ناصية البيت ، حتى وصلت فى مواجهة نافذة حجرة الطعام مباشرة من الخارج لكن الزائر كان قد اختفى . توقفت ، وشعرت بنـــوع من الارتياح نتيجة لذلك ، ثم انتظرت لأعطيه فرصـة للظهور مرة ثانية .

كان الممر والحديقة المجاورة ، والفناء الخلفى ، كلها خالية . وكانت هناك أعشاب طويلة واشجار ضخمة ، لكننى

كنت على يقين من أنه لايختفى بداخلها فهو اما ان يكون موجودا هناك او غير موجود ، وبالتالى فهو غير موجود ، اذا لم استطع رؤيته ، وقفت حيث كان واقفا . واتجهت ناحية النافذة وضغطت وجهى على الزجاج كما فعل . فى نفس اللحظة دخلت السيدة جروز الى حجرة الطعـــام من الصالة . راتنى كما رأيت انا الزائر الغريب ، توقفت كما توقفت انا . وتسببت لها فى صدمة بنفس القدر الذى حدث لى . ابيض لونها وفعلت نفس الحركة التى فعلتها انا ، اندفعت خارج الحجرة . كنت أعرف أنها لابد ان تلتف وتأتى الى الخارج ، وبينما كنت اقف منتظرة اياها تساءلت لماذا ارتعبت وابيض لونها ؟ !

- ٥ -

كانت انفاسها متقطعة عندما وصلت الى عبر الناصية وقالت : « ما الأمر ‧‧ »

لم اقل شيئا حتى اصبحت الى جوارى فسألتها : « كيف يبدو منظرى ؟ »

ـ يبدو مرعبا ‧ فلونك ابيض مثل ملاءة السرير !

كان لابد أن اقول لها الآن ‧ فلم أعد أستطيع الاحتفاظ بسر هذه المرة الثانية ‧ « لقد حضرت الى بالطبع لتذهب الى الكنيسة ، لكننى لا أستطيع الذهاب !

ـ هل حدث أى شىء ؟ !

ـ نعم ‧‧ ساحكى لك عنه ‧ هل بدا منظرى غريبـا جدا ؟ !

ـ من خلال النافذة ؟ أجل ، مرعب !

قلت : « فعلا ، فلقد كنت مرتعبة · »

واوضحت لى عينا السيدة جروز بوضوح انها لاتريد ان تبدو خائفة · فامسكت بيدى وكانت على استعداد تـام لمشاركتى فى ازمتى حينذاك · **وقلت :**

ـ لقد ابيض لونك عندما رايتنى خلال النافذة ـ امـا ما رأيته انا ـ فكان أسوأ من ذلك بكثير !!

فسالتنى : « ماذا رايت ؟ »

ـ رايت رجلا غريب الشكل يتطلع الى حجرة الطعام !

ـ اى رجل ؟ !

ـ ليست لدى اى فكرة ·

تطلعت السيدة جروز حولها **وقالـت :** « اذن الى اين ذهب ؟ » ·

ـ لا اعرف ذلك ايضا ·

ـ هل رايته من قبل ؟ !

ـ نعم ·· مرة ·· كان فوق البرج حينذاك !

ـ هل تعنين أنه غريب ؟ !

ـ أوه ، هو كذلك بالفعل !

ـ لكنك لم تخبرينى من قبل ·

ـ كلا · كان لدى مبرراتى · لكنى تبينت الأمر الآن !

اتسعت عيناها بشكل كبير : « انا لم اتبين اى شىء » **ثم قالت ببساطة :** « هل انت متأكدة من انك لم تتخيلى ذلك »

ـ متأكدة تماما !

ـ وانك رايته مرة من قبل فوق البرج ؟ !

ـ رايته فوق البرج ، وخارج هذه النافذة الآن !

ـ ماذا كان يفعل فوق البرج ؟

ـ كان واقفا هناك ولاكثر ، ويتطلع الى

فكرت لدقيقة : « اكان سيدا أم خادما ؟ »

لم استطع الاجابة على الفور : « لم يكن سيدا ! »

ـ اكان واحدا من اهل القرية ؟

ـ كلا ليس من اهل القرية ـ لا استطيع وصفه ، لكنى متأكدة من ذلك ·

ـ حسن ، اذا لم يكن سيدا ولا واحدا من اهل القرية ، فماذا يمكن ان يكون ؟ !

ـ انه ··· اوه فليساعدنى الله ، انا لا اعرف من يكون تطلعت السيدة جروز حولها مرة ثانيـــة · وتطلعت عبر الحديقة والفناء ثم التفتت الى وقالت : « كان من المفروض ان نكون فى الكنيسة الآن » ·

ـ انا اسفة ، لن استطيع الذهاب معك !

ـ ولم لا ؟ ربما يكون فى ذلك مصلحة لك ؟

ـ لكن لن يكون ذلك فى مصلحتهما ·

وتطلعت تجاه حجرة الأطفال ··

ـ تقصدين الطفلين ؟

ـ نعم · لا استطيع تركهما الآن · انا خائفة منه !

عندما قلت ذلك تغير تعبير وجهها · اذ يبدو أن فكرة

جديدة طرأت على ذهنها ، فكرة لم أوحى انا بها اليها · وبدأت تسألنى : « متى رأيته ـ فوق البرج ؟ »

ـ منذ ثلاثة اسابيع مضت ، فى نفس هذا الوقت من النهار ·

فقالت السيدة جروز : هل كان الجو ظلاما تقريبا ؟

ـ أوه ، كلا · كان الوقت مساء وكان هناك بعض الضوء ·· ورأيته بنفس امكانية رؤيتك الآن !

ـ اذن كيف امكنه ان يدخل ؟

ضحكت : « بل كيف امكنه أن يخرج ؟ لم تكن لدى فرصة لسؤاله ·· وهذا المساء لم تكن لديه القدرة على الدخول » ·

ـ هل كان يتطلع فقط خلال النافذة ؟

ـ أجل · واتمنى الا يفعل اكثر من ذلك »

واستدارت لتنصرف · فانتظرت لحظة ثم قلت : اذهبى انت الى الكنيسة · مع السلامة ينبغى ان أترقب قدومه !!

تطلعت الى عينى ثانية **وقالت** : « هل انت خائفة على الأطفال ؟ »

ـ وانت ، الست كذلك ؟

لم تجب وذهبت تجاه النافذة وضغطت وجهها على الزجـــاج ، **فواصلت كلامى** : « انت ترين الآن كيف كان بامكانه أن يرى » ·

لم تتحرك وقالت : كـم من الوقت بقـى واقفا هنا ؟

ـ حتى خرجت ، خرجت لأقابله !

عندئذ استدارت السيدة جروز **وقالت** : « أما انا فلـم أستطع الخروج » ·

ضحكت ثانية : « لم أكن ارغب فى الخـــروج كذلك · لكنى خرجت ، لأننى اعتقدت ان ذلك من واجبى »

فردت قائلة : « وكذلك من واجبى ايضا ـ قولى لى ، ما شكله ؟ »

ـ شكله ·· أوه ·· لا أدرى ! لايشبه أحدا !

فرددت : لايشبه احدا ؟ !

ـ **لم يكن يرتدى قبعة** ··

وفجأة اصبح وجهها جـــادا جدا ، **وبســـرعة أكملت الصورة** : شـعره أحمر ، أحمر جـــدا ، مجعد ، ووجهه مستطيل شاحب · ملامح وجهه واضحة مباشرة · حاجباه اثقل من شعره ويتحركان الى أعلى واسفل كثيرا ·· عيناه غريبتان ، حادتان ، صغيرتان لكنهما ثاقبتان ·· فمه واسع وشفتاه غليظتان ، طويل ·· مفرود الجسم ، نشط لكنه من المستحيل ولا يمكن ! أن يكون سيدا ؟ !

عندما كنت اتكلم شحب وجه رفيقتى وجحظت عيناها **وانفغر فاها وصاحت** : « سيد ، سيد ، أيكون هو ؟ » ·

فسألتها : « اذن ، هل تعرفينه ؟ »

ـ **لكن هل كان** مظهره محترما ؟

ـ **أوه جدا** !

فواصلت : « وماذا كان يرتدى ؟ »

فاجبت : كان يرتدى ملابس شخص آخر · مـــلابس محترمة ، لكنها لاتخصه !

ضحكت بهستيرية : انها ملابس سيدى !

ـ اذن ، فانت تعرفينه !

فصاحت : « انه كوينت !! »

ـ كوينت ؟!

ـ بيتر كوينت ·· خادم السيد ، خادمه الخصوصى عندما كان هنا ·

ـ عندما كان السيد هنا ؟

ـ لم يكن يرتدى قبعة أبدا ، لكنه بالفعل كان يرتدى ؟· · حسن ، لقد فقد السيد معطفين أو ثلاثة من معاطفه ! كان هما الاثنان هنا العام الماضى · ثم رحل السيد ·· وبقـى كوينت وحيدا ·

ـ تعنين انه عاش هنا وحده ؟

ـ كلا · كان وحيدا معنا · كان مسئولا عن «بلاى » ··

ـ وماذا حدث له ؟

ترددت لفترة طويلة · ثم **قالت :** « لقد ذهب أيضا » ·

سألتها : « ذهب الى أين ؟ »

واصبح تعبير وجههـا غريبا فى تلك اللحظة **وقالت :** « يعلم الله ، الى أين ذهب ! لقد مات ! »

صحت : « مات ؟ ! »

تحركت قليلا ثم وقفت امامى بثبات · **وقالت فى نبرة كلها تعجب :** « أجل · مات مستر كوينت !! » ·

- ٦ -

لم نذهب الى الكنيسة ذلك المساء ٠ وبدلا من ذلـك ذهبنا الى حجرة الدراسة واغلقنا على انفسنا وقمنا ببعض الصلوات والدعوات ٠

بعد ذلك ناقشنا مشكلتنا ٠ أو بالأحرى مشكلتى انا اكثر من السيدة جروز ٠ فهى شخصيا لم تر اى شىء ولا حتى مجرد شبح زائف ولا تعتقد ايضا ان هناك احدا آخر فى البيت قد رأى ذلك ٠ واصبح لامفر من قبول أن شبح كوينت قد ظهر لى فقط ٠ فقد كان وصفى له صادقا تماما فلـــم تستطع أن تشكك فى كلماتى ٠ ونتيجة لذلك فقد أظهـرت نحوى رقة وعطفا لايمكن أن انساهما ابدا ٠

وقررنا عندئذ أن نتحمل عبء هذا الموضوع سويا ٠

وكنت على علم باننى ساقاسى كثيرا لمصلحة الاطفال · لابد ان بى شيئا مختلفا ، فقد كنت استثناء ضمن ثمانية او تسعة افراد يقيمون فى البيت · لكننى حصلت على نوع من الراحة لمعرفة انه فى استطاعتى التغلب على ذلك ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا كنت احكى كل شىء للسيدة جروز · واستطيع ان أتذكر بوضوح تلك القوة المفاجئة التى حطت على قبل ان نفترق للنوم ·· فلقد رويت لها ماحدث عدة مـــرات وبالتفصيل ·

ـ تقولين انه حضر بحثا عن شخص آخر · وانه لم يحضر لرؤيتك ؟

فاجبت : « اعتقد انه كان يبحث عن مايلز »

ـ لماذا تعتقدين ذلك ؟

ـ لدى احساس اكيد · الا تتفقين معى فى ذلك ؟

فلم تبد اعتراضا وقالت : ماذا يحدث لو فرض ورآه مايلز ·

صحت قائلة : ذلك مايريده الرجـــل · يريد ان يظهر لهما ! ·

عندئذ صممت على حماية الطفلين · ان اجعـل نفس دائما بمثابة حاجز بينه وبينهما ·· كنت متاكدة.تماما انى سوف اراه مرة ثانية ، وانه ليس فى مقدوره ان يصيبنى بأى اذى · وبمساعدة السيدة جروز لى اعتقدت ان فى امكانى ان اتغلب على المشكلة · ومازلت اذكر احد الأشياء الأخيرة التى قلتها لها فى تلك الليلة ·

ـ لكن اليس من الغريب ان الطفلين لم يذكرا شـيئا ابدا ··· ؟

وترددت للحظة ··

فاكملت السيدة جــــروز مايدور فى فكرى : ··· ان كوينت كان هنا ، وانهما كانا معه ؟

ـ لم ينطقا بكلمة عنه ابدا ، ولا حتى اسمه ·

ـ حسن ، فلورا لاتتذكره بالطبع · فلقد كانت صغيرة جدا · ولاتعرف اى شىء عنه ·

ـ اذا كنت تعنين موته ، فربما لاتتذكر · لكن مايلـــز لابد انه يذكر ·

فتوسلت الى : « اوه ، ارجو الا تساليه ، يا انسة » ·
ـ لا داعى لخوفك · لكنها مسالة غريبة · اليس كذلك ؟

ـ هل لأن مايلز لم يقل لك شيئا ابدا عن كوينت ؟·

ـ نعم · خاصة وقد قلت انهما كان صديقين حميمين ·

فاعلنت اعتراضها : « اوه ، لم تكن الصداقة من جانب الطفل ، كانت وجهة نظر كوينت ·· أعنى ان يلعب معه ويفسده » ·

توقفت ثم اضافت : « لقد كان كوينت متحررا جدا · »

تخيلت وجه الشبح وانتابنى فجأة شعور بالتقزز **وقلت** : « متحرر جدا مع مايلز ؟ »

ـ « بل ، متحرر جدا مع كل شخص ! »

فهمت من ذلك ان كوينت كان له بعض التأثير السيىء على الأخرين فى البيت · لكنى عرفت ايضا ان « بلاى » يتمتع بسمعة طيبة بين الخدم وأهل القرية · ولم تكن هناك حكايات سيئة مما تروى عادة عن مثل هذا النوع من البيوت القديمة ·

ـ وهكذا فانت تعترفين اذن ، بأن شخصيته كانت سيئة ؟

ـ حسن ، انا كنت اعرف ذلك ·· لكن السيد لم يكن يعرف ·

ـ الم تقولى له ابدا ؟

ـ انت تعرفين يا آنسة ، انه لايحب الشكوى · وكان يتضايق جدا من اى شىء من هذا القبيل ، واذا كان الناس بالنسبة له يبدون على مايرام ··

ـ فلا يفسح اى مجال للشكوى ، نعم ، اتفق معك ، فهو يحب ان يتفادى كل المشاكل ويجعلها بعيدة عنه · لكنى اعتقد لو انى كنت مكانك لقلت له !

ـ اعترف باننى كنت مخطئة · لكننى فى الحقيقة كنت خائفة ·

ـ وما الذى كنت تخافين منه ؟

ـ من الأشياء التى كان من الممكن ان يفعلها ذلك الرجل فقد كان كوينت ماهرا جدا ، وحادا جدا · »

ـ الم تخافى من تأثيره ...؟

ـ تأثيره ؟ !

كررتها بشىء من الألم .

ـ أقصد تأثيره على الطفلين . فقد كانا تحت رعايتك .

ـ أوه ، كلا ، لم يكونا تحت رعايتى . فقد كان السيد يثق فيه وأرسله الى هنا لأن صحته كانت معتلة . لأن جو الريف كان من الممكن ان يفيده . كان مسئولا عن كل شىء .. حتى الطفلين .

أذهلتنى هذه الأنباء . حتى اننى اسـتدرت لأخفى وجهى وقلت : «أتعنين أن هذا الرجل كان مسئولا .. عنهما ؟ كيف أمكنك أن تطيقى ذلك ؟ »

ـ لم أستطع .. لم أستطع .. ولا أستطيع حتى الآن !

وانفجرت المرأة المسكينة فى البكاء وسرعان ماتركتنى بسرعة .

وابتداء من اليوم التالى حرصنا على مراقبة مايلز وفلورا عن قرب . وكنا أحيانا نعود الى مناقشة الموضوع خلال

الأسبوع أنا والسيدة جروز . واعتقدنا اننا ناقشنا كل شىء ، لكن كان هناك دائما سؤال نرغب كل منا أن تطرحه مرة ثانية . فلقد كان لدى احساس غريب بأن هناك شيئا ما لم تقله لى . شىء لم يكن واضحا حتى بالنسبة لى ، حتى اسألها عنه سؤالا مباشرا . أنا لا أشك فى اخلاصها ، لكن اخفاقها فى القيام بذلك كان مبعثة الخوف بالتأكيد .

كنت أقضى أوقاتا طويلة من الليل يقظة . أفكر مليا فى الحقيقة . لقد أعطونى صورة لرجل حى .. وبالتالى لم أفكر فى الرجل الميت ! .. ولم تكن صورة لطيفة . لقد قضى عدة شهور فى « بلاى » ، حتى انتهت تلك الفترة الآثمة صباح أحد أيام الشتاء . اذ وجد بيتر كوينت ميتا على الطريق المؤدى الى القرية . كان هناك جرح فى أحد جوانب رأسه ، قيل أنه من أثر سقوطه على حجارة الطريق فى الظلام . كان يشرب فى حانة القرية . واعتبر البوليس موته مجرد حادث . لكن أثناء التحقيق قيلت أشياء غريبة منها : ان كوينت كان يعيش حياة غير طبيعية ، وان تصرفاته مشكوك فيها ، وانه كان يعانى من بعض اضطرابات غير معروفة فى عقله .



كنت أجلس مع فلورا فى الحديقة ..

عندئذ هيأت نفسى لأكون بمثابة سياج حول الطفلين . فلقد كان واجبى هو حمايتهما من وجود كوينت الشـــرير والا يشاهدا الا القليل من الكثير الذى شاهدته . بل وتمنيت بالطبع ، الا يريا شيئا ، وأن يظل كوينت مختفيا عن ناظريهما كما هو الحال بالنسبة للسيدة جروز ..

كانت تلك الفترة فترة ترقب وقلق ، لكن انتظارى لم يستمر طويلا حتى تحول هذا القلق الى برهان مخيف !!

فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام عندما كنت أجلس وحدى مع فلــورا فى الحديقة .. كنا قد تركنا ما يلز فى البيت جالسا على أحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة لينهى كتابا ، وكنت سعيدة لتشجيعه على ذلك . فقد كان من أحد عيوبه ، ربما ، انه كان يترك واجباته دائما دون أن ينهيها ! أما فلورا فكانت تريد الخروج للتمشى ، ومن ثم خرجنا سويا للتمشى عند البحيرة .

وكالعادة كنا نلعب سويا . ولــــم اكن أبدا اشارك تلامذتى بحماس شديد فى هذه الألعاب . لأنهــم دائمـــا

مايكونون على راحتهم بدونى ، لكن كان لابد أن أبدى نوعا من التوافق حتى أبدو شخصية جذابة بالنسبة لهم · كانوا لايتوقعون منى أن أفعل أى شىء أبدا · ونسيت ماكنت عليه فى هذه المناسبة ، لكن كل ما أذكره أننى كنت هادئة جدا واشعر بأهميتى ، على حين كانت فلورا تلعب بنشاط زائد ·· وفى ذلك الحين كنت جالسة على أريكة حجرية قديمة بجوار البحيرة أقرأ خطابا طويلا تسلمته هذا الصباح من قبل والدى ·

فجأة انتابنى احساس غريب باننا مراقبان ، لم أرفع نظرى الى أعلى لكننى ركزت فكرى وحاولت أن أقرر مايجب أن أفعله ·· أحسست احساسا أكيدا بوجود شخص غريب ··ومازلت أذكر الاحتمالات التى جالت فى ذهنى،ربمايكون شخصا من أفراد البيت ، أو رسولا من القرية أو صبى البقال لكن احساسا ما كان يؤكد لى أن الأمر ليس كذلك ·

وفجأة أصبحت فلورا ساكنة ، لكن للحظة فقط · ثم شرعت فى الغناء وبدلا من التطلع الى البحيرة ، أخذت أنظر مباشرة الى الطفلة · وانتابنى القلق اذ ربما تكون

قد أحست بوجود الغريب وتوقعت ان تصدر منها صيحة اندهاش أو خوف · لكن لم يحدث شىء وعندما نظرت اليها كانت تقف وظهرها الى البحيـــرة · والتقطت قطعتين من أعواد الخشب كانت تحاول أن تصنع منهما قاربا صغيرا · بعدها أخذت أنظر الى الماء

- ٧ -

عدت بأسرع مايمكن لمقابلة السيدة جروز · **وصحت قائلة :**

ـ الطفلان يعرفان ! انهما يعرفان ، يعرفان وهذا شيء مقلق !

فرددت : « يعرفان ؟ ما الذي يعرفانه ؟ »

ـ يعرفان الذي نعرفه تماما ·· وربما **أكثر** ! ·· منذ ساعة مضت كنت انا وفلورا عند البحيرة ، ورأت ما رأيناه ! انا أعرف انها رأت !

ـ هل قالت لك ؟

ـ لم تنطق بكلمة ·· وهذا أسوأ ما فى الموضوع ·· لكنني متأكدة تماما انها رأتها !

ـ رأتها ؟ !

ـ أجل ، كانت امرأة هذه المرة ، لكنها بدت شريرة تماما مثل الرجل · كانت ترتدى السواد · ووجها شاحب بدرجة مخيفة ·· آوه ، لا أستطيع ان أصف لك كيف ··

ـ اين رأيتها ؟

ـ على الضفة الأخرى من البحيرة · كنت جالسة على مقعد حجرى قديم ، وكانت الطفلة تلعب · ثم فجأة ظهرت !

ـ كيف ظهرت ؟ ·· ومن أين ؟

ـ ظهرت فجأة ووقفت هناك · كان لدى احساس أن شخصا ما يراقبنا حتى قبل أن أراها ·

ـ هل سبق أن رأيتها من قبل ؟

ـ أبدا · لكن الطفلة رأتها من قبل · انها تعرفها · وأنت تعرفينها أيضا · أعتقد أنها المربية السابقة ·· تلك التى ماتت !

ـ الآنسة جيزيل ؟

ـ نعم !

ـ لكن كيف يمكنك أن تعرفى ؟

ـ لا أدرى ـ لكن فلورا تعرف ـ انها متاكدة · أرجو الا تسأليها · فسوف تقول انها لم تر أى أحد · سوف تكذب عليك !

ـ آه ، لكن كيف تســـتطعين قول شيء مثل ذلك ؟ ففلورا عمرها ثمان سنوات فقط ·· ؟

ـ أعتقد أننى مدركة لذلك تماما · ان فلورا لاتريدنى ان أعرف · ولو انك كنت موجودة عند البحيرة ، لأمكنك التحقق من ذلك · هناك سر عميق بخصوص هذا الموضوع وكلما افكر فيه اكثر كلما ازداد خوفا !

ـ هل تعنين انك تخشين من رؤيتها ثانية ؟

ـ اوه ، كلا · كل ما اخشاه ان تراها فلورا ، فى حين لا أراها أنا !

بدت عليها الحيرة وقالت : « انا لا أفهم · ينبغى الا

نشغل ذهننا بذلك ! وعلى كل ، فربمـــا تكون الطفلة غير مدركة » ...

وحاولت ان تلقى بنكته : من المحتمل انهـــا معجبة بذلك !

ـ طفلة فى الثامنة .. تعجب بمثل هذه الأمور ؟

ـ حسن ، الا يثبت ذلك انها لاتدرك ابعاد المسالة ؟

فقلت : « اوه ، ترجو أن يكون الأمر كذلك . اما اذا كان العكس فهذا يدل على وجود شىء مزعج ، لأن المراة تجسيد للشر كله .

اطرقت السيدة جروز برأسها الى الأرض لمدة دقيقة ، ثم رفعت بصرها الى ثانية وقالت : « أخبرينى كيف عرفت ذلك » ؟

ـ من منظر وجهها .. من الطريقة التى كانت تنظر بها .

ـ تقصدين الطريقة التى نظرت بها اليك . ؟

ـ كلا ، كلا . فهى لم تنظر الى على الاطلاق . بـل كانت مهتمة بفلورا فقط .

ـ وكيف كانت تنظر الى الطفلة ؟

ـ آه ، بنظرة قاسية ! كيف يتسنى لى ان أصفها ؟ كانت تنظر اليها باصرار مرعب .. للسيطرة عليها !

سكتت السيدة جروز لحظة ثم قالت : « هل كانت المراة تلبس السواد ؟ ! » .

ـ نعم . كان منظرها بائسا ومشوشا ، لكنها كانت تتحلى بجمال غريب . أوه ، نعم ، جميلة حقا .. لكنها شريرة !

وتكلمت السيدة جروز ببطء وقالت : « كانت الآنسة جيزيل شريرة حقا » .

وامسكت يدى وضغطت عليها برقة . وقالت بعد لحظة : « لقد كان كلاهما شريرا » .

فأجبت : « الآن افهم السبب فى عدم كلامك من قبل . لقد كنت وفية لها . لكنى اعتقد انه يحتم عليك الآن ان تقولى لى . ما السبب فى موتها ؟ هل كانت هناك علاقة بينها وبين كوينت ؟ » .

ـ نعم · بل أكثر من ذلك !

ـ بالرغم من اختلاف ···

ـ ··· مستواهما · ومركزهما ·· نعم · بالرغم من كل شيء ·· كانت سيدة محترمة !

ما زلت اذكر تعبير وجهها وهى **تقول** : « نعم ـ كانت سيدة محترمة » ·

ـ وكان هو مجرد خادم خاص ·

ولم اشأ ان أجعل السيدة جروز تشعر بالخجل بقول المزيد عن وضعية الخدم الاجتماعية ، **فاكتفيت بقولي** : لقد كان شخصا مقززا ·

فقالت : لـم أعرف انسانا يماثله · فلقد كان يتصرف بما يرضيه ويسعده هو فقط ·

ـ مع الآنسة جيزيل ؟

ـ أجل ، ومع الخادمات أيضا ·

ـ لكن لابد انها سمحت له بذلك · لابد ان ذلك كان برضاها ·

ـ كان الأمر كذلك · لكنها كانت تعانى منه فيما بعد ، يالها من امرأة مسكينة !

قلت : « اذن فأنت تعرفين سبب موتها »

ـ كلا · لا أعرف شيئا عن ذلك · ولم أرد أن أعرف · وكنت سعيدة من اجلها عندما رحلت من « بلاى » ·

ـ لكن لديك فكرة ما ··

ـ أنا أعرف بالطبع السبب الحقيقى لتركهـا المكـان هنا · لم تستطع البقاء · عليك أن تتخيلى فقط ما يمكن أن يحدث للمربية هنا ! أوه ، شيء فظيع !

وكنت أنا التى انفجرت بالبكاء هذه المرة · فأحاطتنى بذراعيها الحانيتين · **وصحت قائلة** : ما الذى يمكننى أن أفعله لانقاذ الطفلين ·· لحمايتهما ؟ ان الأمر أسوأ جدا مما كنت أتخيل !!

- ٨ -

بعد ان تركت السيدة جروز عدت الى الطفلين ·· فقد كان العلاج الأمثل لتوترى ان اقوم بالتدريس لهما فى حجرة الدراسة ·

واقبلت فلورا ناجيتى على الفور ، تتطلع فى عينى وقالت بجدية : « ماذا حدث ؟ لماذا كنت تبكين » ؟

كنت أظن اننى قد محوت آثار الدموع من عينى ، لكننى كنت سعيدة وقتها لأننى لم افعل ذلك · فنظرت الى عينيها الزرقاوين الصافيتين ، وتاكدت تماما انه ليس بهما أى نوع من الخداع المقصود · كانت عيناها من الجمال بحيث لاتسمحان لأى نوع من الخداع ·

وعندما اصبحت قريبة من الطفلين ، لم استطع تصديق

انهما يعرفان أو يفهمان معنى الشر • وتلاشت شــكوكى ومخاوفى عندما سمعت صوتيهما •

وفى وقت متأخر من الليل ، وبعد أن نام كل فرد فى البيت ، كان لى حديث مع السيدة جروز • عبرت لها عن مشاعرى نحو الطفلين ، وشرحت لها كذلك مظاهر الخداع التى لاحظتها بعد الظهر بالقرب من البحيرة •

قلت : لقـد راعنى أن فلورا متعودة على لقـــاء هذه المرأة ! وأنا أعرف الآن أساليبها الصغيرة ! لقد رأت الآنسة جيزيل •• لكنها كانت تريدنى أن أعتقد بأنها لم ترها • فى نفس الوقت ، ودون أن يبدو عليها أى شيء ، كانت تتساءل عما اذا كنت قد رأيتها أم لا !

سألتنى السيدة جروز : « كيف يمكنك أن تتأكدى من ذلك ، فطفلة فى الثامنة لاتستطيع أن تفكر على هذا النحو »

فأجبت :« أعرف من خلال تصرفاتها • كانت تحاول أن تحول انتباهى بعيدا عن الزائرة • فبدأت تغنى وتتحدث الى نفسها • ثم أرتنى القارب الصغير الذى صنعته » •

قالت : « فى الحقيقة ، انا لا استطيع فهم المسألة على الاطلاق ! »

لم اكن اتوقع من السيدة جروز بالطبع ، أن تصدق أى شيء يسيء الى فلورا • لكن لو اننا تعاونا سويا ، فلسوف اكون على يقين من شيء واحد •

سألتها : لكنــك تصــدقين اننى رأيت الآنسة جيزيل ، اليس كذلك ؟ فانا لم اكن استطيع وصف هذين الشخصين بوضوح ، اذا لم اكن قد رايتهما • وقد تعرفت انت عليهما فورا من خلال وصفى •

ـ اعرف •• وهذا لايرقى اليه الشك • فلقد وصفت كوينت تماما ، وكذلك الآنسة جيزيل • لكن أوه ، كم أود أن ننساهما !

وقلت : « اننى ابحث عن سبيل للهرب منهما ، أو على الأقل نتعود على هذا الخطر • ويبدو أن الطفلين متعودان تماما على ذلك ، وأن ذلك لايسبب لهما أى ضرر حتى الآن الا اذا ••• »

وترددت للحظة . **فسالتنى** : « الا اذا ماذا »

ـ أنت تذكرين بالطبع خطاب مدرسة مايلز . وعندما ناقشنا المسالة ، قلت ان مايلز يكون سيئا فى بعض الأحيان لكننى منذ عرفته فهو دائما ما يتصرف بشكل طيب . لكن المدرسة اكتشفت بعض الاخطاء التى صدرت منه ، وأنت تعرفين على الأقل مثالا واحدا من تصرفاته السيئة فقولى لى ماهو » .

فأجابت : « هو تعلقه بكوينت . وكم كان يؤرقنى جدا وجودهما دائما مع بعضهما . واستمر ذلك لعدة شهور . ولم يكن من الصواب اطلاقا أن يكونا بمثل هذه الصداقة الحميمة ، وتحدثت الى الآنسة جيزيل بخصوص ذلك » .

ـ وماذا قالت ؟

ـ قالت ان ذلك ليس من اختصاصى . بعد ذلك قلت لمايلز ، انه لابد لذلك الشـــاب ان يعرف مركزه فى هذا البيت

قلت : « كنت تقصدين بذلك أن كوينت مجرد خـــادم خاص ، وليس من المناسب ان يكون صديقا له » .

ـ أجل ، ولم تعجبنى اجابته على . وكان يتناقش معى بخصوص ذلك فى كل مناسبة .. كنت أعـــرف انهما كانا يقضيان ساعات طويلة احيانا ، كما لو أن كوينت كان مسئولا عنه . لكن مايلز كان يقول ان ذلك ليس صحيحا .

ـ فهمت . كذب عليك اذن ؟

ـ أعتقد ذلك . فى حين ان الآنسة جيزيل لـــم تكن تمنعه من مرافقة كوينت . لم تكن تهتم بالأمر على الاطلاق .

ـ الم يذكر مايلز ابدا وجود اى علاقة بين الآنسة جيزيل وكوينت ؟ هل تعتقدين انه كان علم بعلاقتهما ؟

فصاحت : اوه ، لا اعرف .. لا اعرف !

ـ انا أعتقد انه ربما كان على علم بذلك فعلا ، وكان يحاول أن يخفى ذلك عنك . فطالما كذب عليك ، فلا بأس بشىء من الخداع .

فقالت السيدة جروز : آه ، ذلك ليس شيئا حسنا !

فأجبت : « وخطاب المدرسة ايضا ليس بالشىء الحسن كذلك » ·

ـ ··· لكن اذا كان هو بمثل هذا السوء ، فكيف يكون اذن بمثل هذه الطيبة الآن ؟ !

فقلت : « فعلا ، كيف ، كيف ، كيف ؟ ارجو أن تعيدى على هذا السؤال مرة اخرى لأننى لا استطيع الاجابة عليه الآن · **فيكفينى** أن اعرف انه بينما كان مع ذلك الرجل · »

ـ كانت فلورا مع المراة · الوضع مناسب لهم جميعا ·

ولقد عبرت السيدة جروز بتكملتها افكارى عن اسوأ مخاوفى · لم اشرح لها الأمر **واكتفيت بقولى** : «ينبغى على مراقبتهما الآن اكثر من اى وقت مضى » ·

نهضت لتنصرف · **وعند الباب قالت** : انت بالتاكيد لا تتهمين مايلز بمقابلة كوينت سرا ؟

قلت : « انا لم اتهم احدا بعد ·· يجب أن انتظر حتى ارى ماذا يحدث !! » ·

- ٩ -

انتظرت وانتظرت · وبمضى الأيام أصبحت اكثر هدوءا · ولم تمض أيام كثيرة ،خلت من اى احداث جديدة حتى استعاد ذهنى صفاءه مرة ثانية ·

فقد جعل الطفلان عملى بمثابة سعادة كبيرة لى ، وسرعان ما اكتشفت مدى اجتهادهما · ولم يكن مصدر سعادتى هو اداء واجباتهما المدرسية ، بل كانا لايكلان ابدا عن ايجاد اى وسيلة جديدة لتسليتى واسعادى ·

كانا يحبان رواية الحكايات لى ، او قراءتها لى ·· كانا يمثلان بعض المشاهد الصغيرة لامتاعى · كما بهرنى ايضا ذاكرتهما المدهشة · فكانا يسمعان عن ظهر قلب اشعارا طويلة كنا قد قراناها سويا ، واعتقد انهما حفظا هذه

الاشعار سرا لمجرد اسعادى · تقدم مايلز تقدما ملحوظا فى دراسته ، ومن المحتمل اننى بسبب ذلك لم أشغل فكرى بالبحث عن مدرسة أخرى ·

حتى بعد ان غادرت « بلاى » كنت احاول اكتشاف تفسير معقول لمهاراته المذهلة ·· بدا لنا اننا نعيش فوق سحابة ذهبية من النجاح والبهجة · كان يعزف على البيانو برشاقة وجمال ، وكنت اجلس لأستمع اليه ، اكثر مما كان ينبغى على المربية أن تفعل ·· ويبدو انه فى ذلك الوقت كان واقعا تحت تاثير قوى على ذهنه ، جعل حواسه متيقظة كالنصل الحاد اللامع ·

وكان من السهل على ان اؤجل البحث عن مدرسة بالنسبة للصبى الصغير ذلك انه لم يفقد شيئا ببقائه فى البيت وهذا ماجعل الخطاب الذى أرسله ناظر المدرسة يظل سرا كبيرا ·

لم انس بطبيعة الحال الأفكار الغريبة التى جعلتنى اخته افكر فيها · فتجربتى معها عند البحيرة شحذت

اهتمامى بكلا الطفلين ، وكنت اتساءل عما اذا كان خمنا سبب ذلك ·

كانت هناك اوقات لا استطيع فيها ان اقاوم ابداء حبى لهما ، لكنى دائما كنت اخاف بعض الشىء من فعل ذلك ، فربما يلاحظان الشفقة التى يتضمنها هذا الحب · واكتشفت صدفة ملامح اتفاق سرى بينهما : فعلى حين يقوم احدهما بشغلى يتسلل الآخر الى الخارج · لكن فى معظم الأحيان كنت اتواجد مع كليهما ، ولم يحدث اى شىء غير عادى ·

على الأقل لم يحدث شىء غير عادى لمدة تزيد على ثلاثة أسابيع · ثم حدث ذات مساء أن شعرت بلمسة باردة غريبة فى البيت !

كنت فى حجرة النوم التى اشارك فيها فلورا ، لكننى لم اكن قد ذهبت الى الفراش بعد · كان المصباح مضيئا ، وانا اجلس على كرسى مريح ، اقرأ · فقد كانت فى « بلاى » حجرة مليئة بالكتب القديمة ، كثير منها كان ممنوعا من دخول بيتنا الهادىء ولذا فقد اثارت فضولى · واذكر أن

الكتاب الذى كنت اقراه كان بعنوان « كفاح اميليا » واذكر كذلك ان الوقت كان متأخرا جدا ، لكنى كنت يقظة تماما . وكانت فلورا نائمة بالطبع منذ عدة ساعات فى سرير صغير بجوار سريرى ، وكنت قد اسدلت ستائر السرير (الناموسية) . ورغم اننى كنت مشدودة تماما الى الكتاب الا ان قوة شديدة جعلتنى اتطلع فجاة الى باب غرفتى .

انصت للحظة ، متذكرة الأصوات التى سمعتها فى الليلة الأولى لوجودى فى البيت . نحيت الكتاب جانبا بحرص ، والتقطت المصباح وخرجت بهدوء من الغرفة واغلقت الباب خلفى .

ودون ان أعرف لماذا ، سرت مباشرة عبر الممر الى النافذة الطويلة الموجودة باعلى السلم . وعندما وصلت اليها ، حدثت ثلاثة أشياء دفعة واحدة . هبة ريح فجائية أطفأت المصباح الذى فى يدى . ضوء القمر المستقيم يخترق النافذة ، ولا حظت وجود شخص على بسطة السلم . عرفت فى الحال انه كوينت . وكان تقريبا قد وصل الى النافذة ، ولكن عندما رآنى توقف .

نظر الى بنفس النظرة التى نظر بها الى من فوق البرج ومن خلال النافذة . عرفنى تماما مثلما عرفته . ووقفنا وجها لوجه تحت ضوء القمر البارد . وفى هذه المرة تعرفت عليه تماما ككائن حى كريه وعدو خطير . لكن لم يكن ذلك هو الشىء الغريب فى لقائنا ، انما الأغرب من ذلك هو اننى لم اشعر بأدنى خوف .

لقد أصابنى بالطبع الكثير من الألم والانزعاج بعد تلك اللحظة الأولى ، لكن شكرا لله على اننى لم اشعر بالخوف . وعرف اننى لست خائفة منه . ولم اكن أظن فى نفسى أبدا ان أكون بمثل هذه الشجاعة الفائقة ، وكل ما أعتقده ان هناك مؤثرات أخرى تفوقت على مشاعرى العادية . وتأكدت اننى لو وقفت أمامه بحزم ، فلن يصيبنى بأذى . وبينما كنت أقف هناك ، بدا لى الأمر وكأنه لقاء بانسان مرعب او مجرم أو شخص مجنون خلال الليل وفى بيت أهله ينام . ولو كنت قابلت مجرما فى نفس المكان ونفس التوقيت ، لكنا تبادلنا الكلام على الأقل مع بعضنا . لكن كوينت وأنا كنا صامتين ، وهذا هو الجزء غير الطبيعى فى لقائنا .

لم نتكلم او نتحرك قيد انملة ، ومــر الوقت بطيئا ·
لا استطيع وصف ماحدث بعد ذلك ، فيما عدا أن الشخص استدار وبدأ يختفى داخل الصمت ذاته · رأيته يستدير بوضوح ، بالضبط وكان كوينت خادم حى ، اصــدرت له امرا بالانصراف · وسرت عبر بسطة السلم فى الظلام ··

- ١٠ -

استغرق الأمر منى عدة لحظات لأدرك تماما أن زائرى قد إختفى · بعدما عدت الى حجرتى ·

اضات المصباح ثانية فرأيت على الفور سرير فلورا الصغير خاليا · كانت الستائر (الناموسية) مسدلة حوله ، لكننى استطعت ان ارى من خلال قماشها الخفيف أن الطفلة ليست موجودة فى السرير · فى تلك اللحظة انتابنى الخوف حقيقة !

التفت بسرعة ناحية صوت صــدر من ناحية النافذة ولشد ما ارتحت عندما ظهرت فلورا من خلف الستائر · كانت تقف هناك فى قميص نومها ، تظهر قدماها الصغيرتان من تحته · بدت جادة جدا · وعندما تحدثت الى ، فقدت

فى التو كل المميزات التى كسبتها من مقابلتى الأخيرة مع كوينت ،واحسست بالخسارة بفداحة ·

سالتنى : اين كنت فى ذلك الوقت المتاخـر من الليل ؟

وبدلا من سؤالها عن سبب تركها لسريرها وذهابها الى النافذة ، اخذت ابرر لها سبب غيابى ، ولم يكن ذلك بالشـــىء الهين · اما هـــى فقد بررت تصرفها ببســـاطة وبحماس · فلقد اكتشفت فجاة ، وهى راقدة هناك ، اننى خارج الغرفة ، فنهضت لترى ماذا حدث لى ·

فى ذلك الوقت كنت جالسة على مقعدى ثانية ، فاتجهت ناحيتى مباشرة ، وجلست على ركبتى ، وانعكس ضـــوء المصباح على وجهها الجميل · سالتها : هـــل اعتقدت اننى كنت اتمشى فى الحديقة ؟ ·

ابتسمت لى : حســـن ، ظننت ان هناك شخصـــا ما ·
قالت ذلك وكان نظرها مثبتا على ·

ـ وهل رايت احدا ؟

فاجابت ببطء : « اوه ، بالطبع لا · »

فى تلك اللحظة كنت فى غاية القلق ، وتاكدت بكل صدق انها كذبت على · اغلقت عينى لكى اقاوم الفكـرة التى داهمتنى فجأة · لماذا لا أخبرها توا اننى اعرف سرها ؟ لماذا لا أقول لها : « لقد رايتها ، انت رايتها ، وانت تشكين في أننى أعرف ! فلماذا اذن لاتخبرينى بكل شىء ؟ لو انك قلت لى ، فيمكننا اذن ان نشترك فى المشكلة · بل ويمكننا أن نعيش سويا هذا الشىء المزعج ، وربما نتعلم معنى قدرنا الغريب ؟ »

لكنى لم أستطيع قول ذلك · وهكذا واصلت معاناتى · وقفت واتجهت ناحية سريرها وسالتها : « لماذا أســـدلت ستائر السرير « الناموسية » مرة ثانيـــة ؟ حتى تجعلينى اظن انك مازلت فى السرير ؟ »

فكرت فلورا فى ذلك ثم قالت بابتسامة : « لأننى لم أرد ازعاجك »

ـ لكنك كنت تظنين أننى قد خرجت ·

لم يصبها أى نـوع من الحيرة · ونظرت الى لهـب

المصباح **واجابت بسهولة** : اوه ، نعمفقد كان من المحتمل ان تعودى ثانية ، وها أنت قد عدت !

ثم ذهبت الى الفراش ، وجلست انا الى جوارها لفترة ، امسك يدها حتى راحت فى النوم اخيرا ·

ولك ان تتخيل ماشعرت به ، خلال الليالى التالية منذ ذلك الوقت · كنت ابقى متيقظة حتى لا أقوى على فتح عينى وكنت أختار اللحظات التى تكون فيها فلورا مستغرقة فى النوم واخرج الى الممر وأسير فيه بهدوء حتى أصل الى النافذة حيث قابلت كوينت · لكنى لم اقابله هناك مرة ثانية ، وكنت اقول لنفسى ربما لن أراه مرة ثانية ابدا فى هذا البيت ·

لكن ذات ليله ضاعت منى مغامرة مختلفة على بسطة السلم ·

كانت بشائر النهار قد طلعت بالفعل وظهرت من خلال النافذة · وتطلعت الى اسفل وعلى الفور تعرفت على ملامح سيدة تجلس على درجة من درجات السلم السفلية وظهرها

لى · كان جسدها محنيا الى الامام وتمسك راسها بين يديها · تطلعت اليها للحظة قبل أن تختفى دون أن تلتفت حولها · لكننى كنت أعرف أى وجه مرعب كنت سأراه لو اننى كنت فى أسفل ، وتساءلت عما اذا كنت لن اخاف منها مثلما حدث لى مع كوينت ·

ومرت الأيام والليالى · وفى الليلة الحادية عشرة بعد مقابلتى الأخيرة مع كوينت انتابنى شىء من الخوف ، لأن ماحدث شىء لم اكن أتوقعه ، وصدمنى بعنف ·

كنت مجهدة جدا حتى أننى نمت مبكرة على غير العادة لكن فى حوالى الواحدة استيقظت فجأة ، كما لو أن أحدا هزنى بيده ، فقعت جالسة فى السرير · فوجدت المصباح الذى تركته مشتعلا قد انطفأ فى تلك اللحظة ، وأحسست أن فلورا هى التى أطفأته بالتأكيد · نهضت وذهبت الى سريرها فى الظلام · كان السرير خاليا · أشعلت عود ثقاب وامكننى رؤية شبحها خلف ستائر النافذة ·

لقد تركت الطفلة سريرها ، وأطفأت المصباح ، واتجهت

ناحية النافذة لتتطلع الى الخارج · لم تزعجها حركتى على الاطلاق · فقد كانت مختبئة ومحتمية خلف الستائر ، كان من الواضح ان شيئا ما بالخارج يجذب انتباهها · وكان لسطوع القمر كاملا ، اثر فى مساعدتها على ذلك ، كما انه نبهنى الى شىء ما · من المحتمل انها تواجه الآن تلك المراة التى قابلناها عند البحيرة وجها لوجه · كان مادار فى ذهنى ان اغادر الحجرة فى هدوء دون ان ازعجها ، واطل من نافذة اخرى يمكننى من خلالها ان ارى نفس المنظر · وصلت الى الباب واغلقته خلفى ، واخذت انصت من الخارج لأى صوت يصدر عنها · لكننى لم اسمع شيئا ·

وبينما كنت اقف فى الممر تطلعت الى باب حجرة نوم مايلز الذى كان قريبا منى · هل ادخل مباشرة واتجه الى نافذته ؟ لكنه سيخمن بالتاكيد سبب تطلعى من النافذة ، وربما يساعد ذلك فى حل اللغز ؟ ··· اتجهت الى الباب وتوقفت قليلا · ربما يكون هو الآخر يحتفظ بسر التطلع من النافذة · لم يكن هناك اى صوت فى الحجرة ، ربما يكون مستغرقا فى النوم · كانت المخاطرة بازعاجه كبيرة · لذلك فقد تراجعت ·

كنت على يقين بان هناك شخصا ما فى الحديقة ، زائر كانت فلورا تعطيه كل اهتمامها · لكنه ليس الزائر الذى يهتم بمايلز ، كان هناك العديد من الغرف الخالية فى « بلاى » ، وكان من السهل العثور على حجرة ذات نافذة تطل على نفس المنظر مباشرة · وكانت الحجرة السفلية فى البرج القديم قريبة جدا منى ، فاتجهت مباشرة اليها · فهى تناسب غرضى تماما ·

كانت حجرة كبيرة مربعة لم تستغل منذ عدة اعوام لكن السيدة جروز كانت رغم ذلك تقوم بتنظيفها ، ومفروشة بعناية كحجرة نوم · كنت دائما معجبة بها واعرف طريقى اليها بسهولة ·· دخلت الحجرة وتوجهت الى النافذة حيث أصبحت الحديقة تحت ناظرى ·

كان ضوء القمر يجعل الرؤية واضحة بشكل غير عادى · نظرت من النافذة ورايت شخصا يقف فوق العشب بين صفين من اشجار طويلة · وبدا حجم الشخص صغيرا من على بعد · كان يقف ساكنا هادئا ، يتطلع الى اعلى

البرج الموجود فوقى · وفهمت فى الحال أن هناك شخصا آخر فى البرج ، شخصا ما كان يقف فى المكان الذى رأيت فيه كوينت أول مرة · لكن الشخص الواقف فوق العشب لم يكن كوينت ولا الآنسة جيزيل · وعندما اكتشفت الحقيقة احسست بالسئم لقد كان الشخص الذى كان ينظر الى أعلى من الحديقة هو مايلز نفسه !

- ١١ -

وعلى الفور هبطت السلم وخرجـــت الى الحديقة · وعندما ظهرت فى ضوء القمر ، اتجه مايلز الى ، وامسكت بيده · ودون أن أنطق بكلمة سرت به عبر الممرات المظلمة حتى وصلنا الى بسطة السلم التى ظهر فيها كوينت من قبل لأجله · وتوجهنا الى غرفته ، حيث الباب الذى وقفت عنده أنصت وأرتعد ·

خلال سيرنا كنت أســأل نفســـى عن المبرارات التى سيقدمها · لابد أن تكون أشياء لايمكن أن أصدقها · لقد ارتكب خطأ بتركه المنزل فى منتصف الليل ، ولايستطيع أن يدعى ذلك مجرد لعبة·فى نفس الوقت كانت تواجهنى صعوبة أنا ايضا ·

فمنذ الآن وصاعدا سيعرف مايلز أننى كنت أراقبه ،

وتساءلت عن النتيجة التى يمكن أن تحدث بناء على تلك المعرفة ·

دخلنا الى حجرته · لم تكن الستائر مسدلة · وضوء القمر ينير المكان ، ولم تكن بى حاجة لاشعال ثقاب كان فرش السرير مرتبا مما يؤكد عدم استعماله على الاطلاق · جلست على طرف السرير ، **وقلت** :

ـ يجب أن تخبرنى بالحقيقة يامايلز · لماذا خرجت ؟ · ماذا كنت تفعل هناك فى الحديقة ؟ !

كانت هذه أسئلة عادية جدا ، وعندما طرحتها عليه ، كنت أعلم أن باستطاعته أن يقول لى أى شىء يريده · أما اذا اعتبرت المسألة مجرد مظهر من مظاهر سوء السلوك ، فان مايلز لن يخشى شيئا بعد ذلك · لكن لم يكن فى استطاعتى تماما فى تلك المرحلة الا أن اعتبر الأمر كذلك · وكان من المستحيل بالنسبة لى ، أن أشير الى موضوع كوينت الى طفل مثل هذا فى حجرة نومه وفى الساعة الواحدة صباحا ·

مازلت أذكر ابتسامته المشرقة ، وعينيه الصافيتين ، وصوته الهادى **عندما قال** : « لو اننى قلت لك عن السبب ، فهل ستقدرين الموقف » ·

وكاد قلبى يقفز الى لسانى · أيقول لى عن السبب ؟ ولم أستطع قول أى شىء ، لكننى أجبته بحركة من رأسى ·

قال : « حسن ، لقد خرجت حتى تعتقدى ، لمجرد التغيير باننى كنت ولدا سيئا » ·

قال ذلك بكلمات حلوة مرحة ، ثم انحنى الى الامام وقبلنى · كان ذلك نهاية كل شىء بالنسبة لى تقريبا · لم استطع أن أطرح عليه المزيد من الأسئلة ·

كان تبريره كاملا وتاما ، ولم يعطنى أى فرصة للمناقشة على الاطلاق · بذلت جهدا كبيرا حتى لا أبكى ·· ونظرت الى أرجاء الحجرة ، **وقلت** : « أنت لم تغير ملابسك »

ـ كلا ، فقد كنت جالسا أقرأ ·

ـ ومتى نزلت الى الحديقة ؟

– فى منتصف الليل · عندما اكون سيئا ، اكون سيئا بحق ·

– انهم · لكن كيف كنت متاكدا باننى سابحث عنك ؟

وكانت اجابته حاضرة : « لقد رتبت ذلك مع فلورا ، اذ كان عليها ان تنهض وتتطلع من النافذة » ·

– هذا بالضبط مافعلته ·

– وبالتالى ازعجتك · فنهضت لتعرفــى الى ماذا تنظر ، بعد ذلك رايتنى فوق العشب !

– اجل ، فوق العشب حيث كان من المحتمل ان تصاب بالبرد ! .

فابتسم وقال : « وذلك ما يجعلنى اســوأ ·· اليس اليس كذلك » ؟

– نعم ، اعتقد ذلك !

– لكن ارجو أن تفكرى فيما يمكن ان افعله !

عندئذ تركته وعدت الى حجرتى ، حيث كانت فلورا قد عادت الى سريرها ونامت · وذهبت الى سريرى ايضا

لكننى استلقيت متيقظة لمدة ساعتين أو ثلاثة ، افكر فى تلك الواقعة ·

لم تتح لى فرصة عاجلة لاخبار السيدة جروز بذلك الموضوع · ذلك اننى احكمت مراقبتى للطفلين لدرجة انه كان من الصعب أن اقابلها وحدها · وشعر كلانا انه من المهم جدا الا نظهر من خلال تصــرفاتنا ، اننا منزعجتان لذلك · فمما لاشك فيه أن الخدم والطفلين سوف يتاكدون بأن هناك أمرا ما ليس على مايرام لو رأونا نتناقش على انفراد ·

وكانت تصرفات السيدة جروز الهادئة خير معين لى فى ذلك الوقت ، فلم يكن يبدو على وجهها البشوش أى ملمح من ملامح الخوف او الانزعاج وانا على يقين انها صدقت كل شىء قلته لها · لكن لسوء الحظ كان لديها قصور فى خيالها ، ولم تكن لتستطيع أن ترى فى الطفلين الا جمالهما واشراقهما واجتهادهما ، وكانت مشاعرهــا تعتمد فقط على ماتستطيع رؤيته · وبالتالى فلو ان كوينت والآنسة جيزيل كان لهما تاثير واضح على مايلز وفلورا

فلم تكن السيدة جروز لتستطيع ان تلحظه بالطبع ، والا لكان سلوكها قد تغير ·· لقد عرفت ماكانت تفكر فيه · لقد كان كل ما تستطيع أن تفعلـــه هو ان تمد ذراعيهـا البيضاوين امامهـــا وتنظر الى الطفلين فى هدوء وتقول لنفسها : « حسن ، حتى لو تحطمت طيبتهما ، فان شظايا هذا التحطم ستبدو لى على مايرام » ·

وبمرور الوقت ، دون وقوع أى حادث له اثره ، فقد قررت أن الطفلين يمكن أن يقوما برعاية نفسيهما ، وكرست كل عواطفها الآن لتلك الحالـة الحزينـــة التى انتابت مربيتهما ·

فى مساء اليوم التالى أخرجت مقعدين الى الشرفة الموجودة أمام الباب الخارجى ، ودعوت السيدة جروز للجلوس معى · كان مايلز وفلورا يقرآن فى الحديقة على مبعدة قصيرة منا · نظرت اليهما كما تفعل عادة ، ثم التفتت الى كما لو كان من واجبها ان تحاول رؤيتهما لما رايتهما انا · كانت على استعداد لسماع آخر اخبارى ·

- ١٢ -

اخبرتها بكل ماحدث فى الليلة السابقة · وفى النهاية قلت لها : « ان كلماته الأخيرة لى ، هـــى أهـــم الكلمات جميعا بالطبع فلقد حسمت الموضـــوع حقيقة · فقد قال : أرجو أن تفكرى فيما يمكن أن افعله ! » قال ذلك ليبين لى أنه فى أحسن أحواله الآن · وهو يعرف تماما ماذا « يمكن أن يفعل » · وناظر المدرسة يعرف أيضا . وذلك هو السبب فى طرده من المدرسة » ·

فصاحت السيدة جروز : اذن . فقد غيرت من رأيك !

ـ كلا ، أنا لم أغير رأيى ·· لكننى بدأت أفهم اكثر الآن · ان مايلز وفلورا يقابلان كوينت والآنسة جيزيل بصفة دائمة . ويمكنك التأكد من ذلك · ولو انك كنت مع

أحد الطفلين فى تلك الليالى الماضية،لكنت ادركت ذلك أيضا · والشىء الذى يجعلنى متأكدة تماما هو صمتهما التـام · فلم ينطق احدهما بكلمة أبدا عن كوينت او الآنسة جيزيل · كما أن مايلز لم يتحدث اطلاقا عن مدرسته أو عن السبب فى طرده · والغريب جدا الآن ان الطفلين يلتزمان الصمت التام بخصوص أمور أو اناس يعرفان عنهم كل شىء ·· أوه ·· من الممكن بالطبع أن نجلس هنا ونتطلع اليهمـا ونعتقد أنهما على مايرام · لكن الحقيقة هى ان مايلز لايقرأ لفلورا ، وأنت تعرفين ذلك · هو يتظاهر فقط بالقراءة انهما يتحدثان عن صديقيهما الميتين ، اللذين عادا اليهما ! انه يحكى لها عما رآه الليلة الماضية ! · أنا أعرف أننى اتكلم ، كما لو كنت امرأة مجنونة · لكن الأشياء التى رايتها جعلت الأمر واضحا تماما بالنسبة لى ، وجعلتنى أفكر فى أمور أخرى كذلك » ·

لم تعرف السيدة جروز ماذا تقول · وأبقت بصرها على الطفلين كما لو كانا سـندها · **ثم قالت :** « ماهى الأشداء الأخرى التى فكرت فيها ؟ » ·

فاجبت : « انها تلك الأشياء التى اسعدتنى وشغفت بها ، وفى نفس الوقت هى الأشياء التى حيرتنى وأتعبتنى · ذلك الجمال الفائق الذى يتسم به الطفلان ، وذلك الأدب والسلوك الزائد عن الحد ··· »

ضحكت وتوقفت ، **ثم واصلت كلامى :** « أعتقد أنهـا لعبة ، خطة لخداعنا » ·

نظرت مباشرة الى الطفلين **وقالت :** « هل تعنين أنهما يخدعاننا » ؟

ـ نعم ، رغم أنهما مجرد طفلين ، وذلك بالضـبط ما أعنيه ، وأنا أعرف أن ذلك يبدو نوعا من الجنون · كان من السهل أن نتعايش معهما ، لانهما ببساطة يعيشـان حياتهما بطريقتهما · انهما لايخصانى ·· لايخصاننا · هما يخصانه ويخصأنها !!

ـ تقصدين كوينت وتلك المرأة ؟

ـ نعم · الطفلان يودان الذهاب اليهما ·

فسألتنى السيدة جروز : « لكن لماذا ؟ يودان الذهاب اليهما » ؟

— لأنهما يحبان تلك الأفعال الشريرة التى علمها لهما كوينت وتلك المرأة فى تلك الأيام المزعجة · ثم عاد الاثنان ليعلماهما المزيد ، ليواصلا عملهما الشيطانى !

نظرت الى ، ويبدو ان الذكريات اضاءت وجهها · لم تعترض على كلماتى وقالت : نعم ، لقد كانا زوجا من الشياطين فعلا ! لكن ماذا بامكانهما ان يفعلا الآن ؟ فكلاهما ميت !

— ان يفعلا ؟ !

قلت ذلك بصوت مرتفع حتى ان مايلز وفلورا التفتا الينا · بعدها قلت بصوت اهدا : « الم يفعلا مافيه الكفاية ؟ ان بامكانهما ان يحطمانهما !

وبدا من الواضح انها لم تفهم ذلك ، لأنها لم تقل شيئا · توقفت للحظة ثم واصلت كلامى : « فى تلك الأيام الماضية ، لم يكن كوينت والمرأة يعرفان الى اى مدى يمكن أن ينجحا ، لكنهما كانا يحاولان جهدهما · وفى الوقت الحالى يظهران للطفلين من على بعد ، فى الأماكن

المفتوحة ، خارج النافذة ، فوق قمة البرج ، على الجانب الآخر للبحيرة · وخطتهما أن يقربا المسافة ويتغلبا على كل الصعاب · والطفلان شغوفان بمساعدتهما ، وهكذا فان نجاح هذين الشيطانين انما هو مسألة وقت فقط · ولسوف يواصلان ذلك ليوحيا بأن الشر والخطر وشيك الوقوع »

— وهل تعتقدين بأن الطفلين سيذهبان اليهما ؟

— نعم · وستكون تلك هى النهاية !

نهضت السيدة جروز ببطء ، فاضفت قائلة : الا اذا استطعنا منعهما بالطبع !

وبدأت تقلب المسألة فى رأسها وهى واقفة أمامى ثم قالت :

— «يجب ان يمنعهما عمهما · ينبغى ان يأخذهما بعيدا عن هنا » ·

سألتها : « ومن الذى سيجعله يفعل ذلك ؟ »

ـ أنت ، يا انسة ؟

ـ كيف ؟ بان اكتب له رسالة اقول فيها ان بيته مسمم باشياء شريرة وان ابن وبنت اخيه شريران ايضا ؟

ـ لكنك تقولين انهما كذلك ، يا انسه !

ـ ستكون هذه أخبار مزعجة ، حتى نبعث بها الى شخص وضع ثقته فى · وتذكرى أننى وعدته مخلصة بالا ازعجه ·

قدرتْ السيدة جروز الموقف وقالت : « اجل ، اعرف انه يكره الازعاج · وذلك هو السبب فى ··· »

ـ فى ان كوينت والمراة قد خدعاه لفترة طويلة ؟ اجل ، كنت اشعر بذلك · لكننى لن اخدعه !

ـ هل فى امكانك انْ تجعليه يحضر الى هنـا ، من اجلك ؟

ـ من اجلى ؟

وفجاة خشيت مما يمكن انْ تفعله ·

ـ نعم · ينبغى أن يحضر الى هنا · ينبغى أن يحضر لمساعدتك ·

نهضت بسرعة وقلت : « كلا ! لن أطلب منه أن يحضر لزيارتنا · فلسوف يضحك من افكارى ويسخر من ضعفى ·· وبالاضافة الى ذلك كله ، سوف يعتقد أننى تعبت من وجودى وحدى ، واننى قد اخترعت هذه الأشياء حتى اجعله يحضر الى هنا » ·

فلا احد كان يعلم ـ ولاحتى السيدة جروز ·· كم كنت فخورة حتى أقوم بخدمته ، وكم كنت مصممة على الالتزام باتفاقنا · لذا فقد فكرت أنه من الضـــرورى أن احذرها فقلت لها : « اذا كانت الحماقة قد وصلت بك الى الحـد الذى تطلبين منى أن أجعلـــه يحضر الى هنا من اجلى ··· »

فارتعبت حقيقة وتســاءلت : « نعم ، ياانسة ؟ »

ـ فلابد أن اغادر « بلاى » على الفور وبلا رجعة !!

- ١٣ -

خلال الشهر التالى زادت احدى مشاكلى واصبحت اكثر سوءا · فلم أعد أستطيع الكلام مع الطفلين بمثل تلك السهولة التى كانت تحدث من قبل ·

فخلال مناقشاتنا أصبح هناك موضوع لانستطيع الاقتراب منه يمثل جدار بيننا ، وكان الطفلان على وعى تام بذلك بنفس القدر ، الذى أعيه أنا · وعندما كنا نقترب من هذا الجدار أثناء كلامنا ، كنا نتوقف فجاة ، ويبتعد كل منا عن الآخر ·

كان الموضوع الممنوع الكلام فيه هو كل ما يتعلق بحياة الطفلين قبل أن أحضر الى « بلاى » ، ومدرسة مايلز ، وبصفة عامة كل كلام يتعلق بالموت أو عودة الموتى

·· ولا أعتقد أننا استطعنا أن نتجنب هذه الموضوعات بنجاح كبير دون اعداد ترتيبات خفية بشكل كبير ·

ورغم أننى لم أتعرف على أى شىء من حياة الطفلين الماضية ، فقد كانا شغوفين جدا لمعرفة كل تفاصيل حياتى الخاصة ، وان اتحدث اليهما عن طفولتى وبيتى الذى كان خارج نطاق مشاكلى الحالية ·· وقبل أن ينتهى الشهر كانا يعرفان كل شىء حدث لى ولأخوتى واخواتى حتى ماحدث لقطتنا وكلبنا · تحدثنا عن عادات ابى المسلية ، وعن ترتيب الأثاث فى بيتنا ، وعن عجوز قريتنا واحاديثها ·· كان لدى الكثير لأقوله ، وكان الطفلان يشجعانى على تذكر كل تفصيلة صغيرة من تفصيلات الماضى ·

وبعد ذلك ، عندما كنت افكر فيما كان يحدث فى هذه المناسبات ، كنت احس بالشك فى نيتهما ، واحسست بانهما كانا يراقبانى طوال الوقت فى سرية ·

وهكذا مرت الايام ، ولم اعد ارى أيا من كوينت او الآنسة جيزيل · رغم وجود اماكن مظلمة عديدة فى

« بلاى » كنت أتوقع ظهور كوينت فيها ، كذلك فقد كانت هناك مناسابت عديدة ملائمة لظهور الآنسة جيزيل مرة ثانية · وانتهى فصل الصيف ، وانعكس لون السماء الرمادى على المكان كله ·

كانت الحديقة بممراتها الخالية ، والأوراق الجافة المتناثرة فى كل مكان ، بمثابة مسرح حال بعد انتهاء العرض · بمعنى أن الظروف كانت مهيأة تماما لعودة زوارنا ، وكان فى امكانى أن أعرف المكان وفى أى وقت من اليوم ، وأين يمكن أن نتقابل · لكننى لم أرى شيئا لا فى داخل البيت أو خارجه ، لم اكن ارغب فى رؤيته ·

من الغريب فعلا قول ذلك ، لكننى كنت منزعجة الى حد ما من عدم ظهور كوينت والآنسة جيزيل مرة ثانية · وارجعت فشلى فى عدم رؤيتهما ربما بسبب فقدانى لقدرتى على رؤيتهما · وعندما عبرت عن مخاوفى للسيدة جروز ، فيما يتصل بالآنسة جيزيل حيرها ذلك ، لكننى لم افصح عنها · أما عن الحقيقة فكانت كالتالى : أنه لم يثبت بعد بالتأكيد أن الطفلين استطاعا حقيقة رؤية كوينت او الآنسة

جيزيل ، كما رأيتهمـــا أنا ، وحتى أتأكد من ذلك ، فقد فضلت أن تكون لدى صورة كاملة عن الموضوع كله . فقد كنت أريد أن أرى وأن أعرف أسوأ مايمكن رؤيته أو معرفته فى « بلاى » .

أما عن الوقت الحالى فلم يظهر الى الآن شىء يمكن رؤيته . ووددت أن أشكر الله على كرمه ، لكن كانت تحول دون ذلك عقبة واحدة . فكم كنت أود أن أشكره من صميم قلبى لو تأكدت تماما من أن الطفلين لايشاركانى هم ذلك السر .

كيف يمكننى أن أصف اليوم المراحل التى تطور بها هذا الاحساس فى ذهنى ؟ . كانت هناك أوقات كنت على استعداد لأن أقسم بأن كوينت والآنسة جيزيل كانا معنا فى حجرة الدراسة . وفى أوقات أخرى لم يكن فى مقدورى أن أرى زائرينا ، بل أحس بوجودهما فقط . أحيانا كنت أود أن أصرخ : « انهما هنا ، انهما هنا ، لابد أن يعترفوا بذلك الآن ! » لكن صرخة غضب مثل هذه ، قد تسبب من الضرر أكثر مما هو خير ، وبالتالى لم أقل شيئا . كما أن الطفلين لا يعترفان بأى شىء كذلك .

لقد صدمت بشـــدة عندما اكتشفت وجود ما يلز فى الحديقة ، ينظر الى قمة البـرج ، فى الســاعة الواحدة صباحا . وألهمنى هذا الاكتشاف بفكرة جديدة ، وذات مرة أو مرتين كدت أن أواجه الصبى بالسؤال مباشرة . كنت أغلق باب حجرتى على نفسى لأفكر فى أفضل سبيل لطرق الموضوع . لكنى دائما كنت أتخلى عن التفكير فى المشكلة عندما أتيقن أنه يتحتم على ذكر الأسماء . كانت هذه مشـكلة لطيفة للغاية ، فقد كان نقاشى مع نفســى ينتهى دائما بهذه الكلمات ، « ان الطفلين على قدر كبير من الأدب بما يسمح لهما بأن يظلا صامتين ، لكن أنت ، مربيتهم الموثوق فيها ، أسلوبك سيىء فى الكلام » .. وكان وجهى يحمر من الانفعال ، وسرعان ما أطرح نفسى فى الفراش .

بعد هذه المشاهد الخاصة ، أخذت أتحدث الى تلميذى بحرية على قدر ما أستطيع . وسارت حياتنا بشكل عادى حتى .. حتى شعرت ثانية بذلك الجمود الغريب ، ذلك الصمت . لكنه لم يكن صمتا ولاسكونا .. كان يتجسد فى الحقيقة على هيئة ضحكة عالية ، أو مناقشة حامية ،

أو عزف نغمة موسيقية بطريقة حادة · وعرفت بعد ذلك أن كوينت والآنسة جيزيل كانا موجودين لكن دون أن يراهما أحد · واضطربت خوفا من أن يجدا سبيلا لارسال بعض الرسائل المزعجة الى الطفلين دون علمى ·

كان أسوأ ما أخشاه فى الحقيقة ، انهما قد يكونا رأيا اكثر مما رأيته انا ، رأيا أشياء سيئة لم أستطع أنا حتى أن اتخيلها · ولاشك اننا كنا جميعا ينتابنا شىء من الخوف أحيانا ، وكنا نبذل جهدنا فى اخفاء ذلك ·

وحتى نضع نهاية لهذه الأوقات العصيبة ، كان الطفلان يقبلانى ، وكان احدهما أو الآخر يوجه الى السؤال الأثير · وكان ذلك السؤال هو الذى يساعدنا فى التغلب على الكثير من هذه اللحظات المتجهمة : « متى تعتقدين انه سيحضر ؟ و « انه هذا » ، كان بالطبع عمهما الذى يقطن فى شارع هارلى ، وكنا نعيش على امل انه قد يحضر فى أى لحظة · ولم يحدث ابدا ان قال او كتب كلمة تدعم هذا الاعتقاد ، بل ان ذلك لم يخطر على باله اطلاقا ·

ولا اعتقد انه كتب للطفلين ابدا · ربما تكون هذه انانية منه ، لكنها بالنسبة لى نوع من الثقة التامة فى · وفى مقابل ذلك فقد حملت مسئولية اتفاقنا كاملة ، ولم اكتب اليه ·· وقلت لتلميذى ان خطاباتهما له ستكون مجرد تمرين مفيد فى قواعد اللغة الانجليزية · وأضفت أن خطاباتهما كانت فى منتهى الجمال حتى تشوه بخاتم البريد · واحتفظت بها جميعا لنفسى ، ومازالت لدى حتى اليوم ·

وعندما اعود بفكرى الى تلك الأيام الغريبة ، تصيبنى الدهشة ، لأننى لم افقد صبرى مع الطفلين · فلقد احسست يقينا انهما يخدعانى ، ورغم ذلك مازلت احبهما ! ولا استطيع القول كم سيستمر ذلك الشعور ، حتى لو لم اصل الى نوع من الراحة · وأنا اطلق عليها راحة ، لكنها كانت ذلك النوع من الراحة التى تاتى طفرة واحدة عندما تضيق الأمور ·· واخيرا حدث التغيير وجاء بكل اندفاع وقوة !

- ١٤ -

فى صباح يوم احد كنت انا ومايلز فى طريقنـا الى الكنيسة · وكانت السيدة جروز وفلورا الى جانبها تتقدمنا

كان يومـا باردا لا سـحاب فيه كان يوما من تلك الأيام الأولى التى تنبىء بقدوم الشتاء ·

كنت افكر فى مدى سعادتى بان التلميذين كانا مثالا للأطفال المطيعين · كنت الازمهما طوال اليوم ، وكل يوم فلماذا اذن لم يتبرما من ذلك ؟ ومايلز على وجه الخصوص ربما يفكر الانسان ـ قد يكره ان يكون مراقبا من قبـل مربيته طوال الوقت · فقـد كنت بمثابة حـارس مكلف بحراستهما لمنع اى احداث مفاجئة او محاولة للهرب ·

كان مايلز يرتدى افضل حلة ، صنعت خصيصا لـه



متى سأعود الى المدرسة ٠٠ ؟

عند الحائك الخاص لعمه ٠ وبدا معتزا بنفسه وكانـــه شاب ناضج يعتمد على نفسه ، وعلى وعى تام بكافـــة حقوقه وواجباته ٠ لدرجة اننى احسســـت لو انه فجاة طالبنى بحريته ، فلن يكون بامكانـــى أن اقـــول شيئا ٠ وللصدفة الغريبة كنت اتساءل فى هذه اللحظة فى كيفية مواجهة مثل هذا الموقف ! وتكلم مايلز ، وكنت انا على استعداد لمواجهة الموقف وجها لوجه ٠

قال بطريقته الجذابة : « اسمعى ، ياعزيزتى ، متى ، ارجوك ، سأعود ثانية الى المدرسة ؟ »

والكلام الذى قاله وكما هو مدون هنا لا يبدو فيـه ادنى ضرر ، وقد قال مايلز الكلمات بطريقته اللطيفـة ، وبصوته اللامبالى الذى كان دائما مايجيب به على اسئلتى توقفت فجاة ، كما لو أن شجرة من أشجار الحديقة قد سقطت عبر الطريق ٠ وتحققـــت على الفور بأن هنـــاك شيئا جديدا بيننا ، وعرف مايلز فى الحال اننى تحققت من ذلك ٠ وعرف ايضا انه قد كسب نقطة ضدى ، لأننى فى البداية لم استطع التفكير فى شىء اقوله ٠٠ وحقيقة كنت

بطيئة جدا فى الرد عليه حتى انه كانت لديه الفرصـــة ليواصل كلامه : « الا ترين ، انه من اللطيف جدا ، ان يكون الانسان بصحبة سيدة بشكل دائم ؟ »

وكان ينبغى على ان اكون حريصة فيما اقول · وأذكر اننى حاولت ان اضحك لكى اكسب بعض الوقت ، لكننى اعتقد انها كانت ضحكة غريبة وقبيحة · ثم قلت : « ودائما مع نفس السيدة ؟ »

لم يظهر اى تغيير فى ملامح وجهه ، لكن السر لم يعد سرا بعد · قال : « آه ، وبالطبع فهى سيدة رائعة ، لكن على اى حال فانا انسان ·· حسن ، ناضج » ·

فاسقط فى يدى وقلت : « اجل ، انت انسان ناضج » · ·· ولم استطع التفكير فى شىء آخر اقوله او افعله ·

ويبدو انه عرف انه قد اسقط فى يدى فقال : « وبالتالى لاتستطيعين ان تقولى باننى لم اكن انسانا جيدا ، هل فى امكانك ؟ »

كان الوضع سيكون افضل لو اننا كنا واصلنا السير ،

لكننى لم أكن قادرة تماما على فعل ذلك : « كلا ، لااستطيع ان أقول ذلك ، ياما يلز » ·

ـ فيما عدا تلك الليلة بالذات !

ـ أوه ؟ أى ليلة تلك ؟

ـ « عندما نزلت الى اسفل ـ وخرجت من البيت » ·

ـ « أوه ، نعم · لكننى نسيت ، لماذا فعلت ذلك » ·

ـ « نسيت ؟ » ··

وكان فى صوته رنه لوم خفيفة · واكمل :

« حسن ، لقد فعلت ذلك لمجرد ان أريك اننى استطيع فعل ذلك » !

ـ اجل ، هذا صحيح ـ انت تستطيع ·

ـ وأستطيع أن افعله مرة ثانية ·

ـ بالتاكيد تستطيع · لكنك لاترغب ·

ـ كلا · انا لا أرغب فى فعل ذلك ثانية !

بدأنا نواصل السير ، فاكمل كلامه · « اذن متى ساعود الى المدرسة » ·

سألته : « هل كنت سعيدا جدا فى المدرسة » ٠

فكر للحظة : أوه ، انا أكون سعيدا بما فيه الكفاية فى أى مكان !

فأجبته : حسن اذن ، مادمت تشعر بالسعادة هنا ٠

ـ « أه ، لكن ليس هذا هو الشىء الأساسى ، انت بالطبع فى استطاعتك أن تعلمينى كثيرا ، لكن ٠٠٠ ، وتوقف ٠

ـ حسن ، ماهو الشىء الأساسى ؟

ـ هو أننى ، أريد أن اتعرف على مزيد من الحياة ٠

ـ فهمت ، فهمت !

كنا قد اصبحنا فى تلك اللحظة أمام الكنيسة ٠ وكان هناك العديد من الناس ، ومن بينهم بعض خدم « بلاى » يقفون عند الباب ، ينتظروننا لندخل ٠ بدأت أسرع فى المشى ، فقد كنت أريد أن ادخل الى الكنيسة قبل أن يستطيع قول أى شىء آخر ٠ ففى الكنيسة سوف يلتزم الصمت

لمدة ساعة أو تزيد وفكرت بسعادة فى تلك الأضواء الخافتة بالداخل وتلك الراحة ونحن على مقاعدنا ٠ كنت كمن يجرى فى سباق بنوع من الضيق ، وقبل أن ندخل الى فناء الكنيسة قال فجأة : أريد أن أكون مع الناس مثلما أكون مع نفسى !

قفزت خطوة الى الامام وقلت : « ليس هناك الكثير من أمثالك ، يامايلز ! » ثم ضحكت وأضفت : « هناك فلورا بالطبع !

ـ أتقارنين بينى وبين بنت صغيرة ؟

شعرت بالضعف : « لكنك تحب فلورا ، أليس كذلك ؟»

فقال : « وأنت أيضا ، لكن لو لم ٠٠٠ ، لو لم ٠٠٠ » وأخذ يرددها ٠ وتصورت أنه سوف يخبرنى ، لكنه لم يكمل تصورى ٠ كانت السيدة جروز وفلورا قد دخلتا الكنيسة ، وتبعهما الآخرون ٠ ووجدت نفسى أنا ومايلز وحدنا بين القبور القديمة ضغط على ذراعى ، وتوقفنا ٠

ـ أجل ، اذا لم ٠٠

تطلع حواليه فى المقابر : « حسن ، أنت تعرفين » وبعد مضى لحظة قال شيئا جعلنى اجلس لاستريح فوق اقرب مقبرة : « هل يفكر عمى فيما تفكرين فيه ؟ »

– وكيف يتسنى لك أن تعرف ما أفكر فيه ؟

– آه ، بالطبع ، أنا لا اعرف · فانت لم تخبرينى قط · لكن ما اقصده هل هو يعرف ؟

– يعرف ماذا ، يامايلز ؟

– أننى لم أعد الى المدرسة منذ الاجازة ·

– انا لا اعتقد أن عمك يهتم بذلك كثيرا ·

– اذن . ألا تعتقدين أننا يمكن أن نجعله يهتم ؟

– كيف يمكننا فعل ذلك ؟

– بأن نجعله يحضر الى هنا !

– ومن الذى سيجعله يحضر الى هنا ·

– أنا !!

قال الصبى ذلك بكل تصميم ومشى مبتعدا عنى ودخل الكنيسة ···

- ١٥ -

لم يكن باستطاعتى ابدا ان اتبعه · فجلست هناك فوق القبر احاول فهم معنى ماقاله لى ·· تحيرت فى تفسيره لمدة طويلة حتى اننى لم استطع ان اذهب الى الكنيسة على الاطلاق ، لكن بمرور الوقت وضح فى ذهنى كل شىء وكذلك المبرارات التى يمكن اقدمها · فمن الممكن ان اقول اننى لم ادخل الى الكنيسة بسبب تأخرى جدا · ولايصح للمربية ان تكون قدوة لتلاميذها فى التأخير ·

كان من الواضح بالنسبة لى ، ان مايلز قد كسب نقطة أخرى ضدى · فقد يفسر عدم ذهابى الى الكنيسة لحالة الضيق التى انتابتنى بعد نقاشنا ، وهذا يرجح كفته · ربما يظن أننى خائفة من شىء ما ، ومن المحتمل أن يستفيد من خوفى لكسب المزيد من الحرية لنفسه ·

كان خوفى اننى قد اتعامل معه على أساس انه مفصول من المدرسة · وكان ذلك شيئا مزعجا بالنسبة لى لأننى كنت متاكدة ان كوينت له صلة بذلك الموضوع · ولو ان السيد حضر الى « بلاى » لمناقشة هذا الموضوع معى ، فربما ارحب بمساعدته فى هذا الشأن · لكنى كرهت التفكير فى ذلك ، وأردت فقط أن أؤجل السؤال · وانه لن سوء حظى أن يكون مايلز على صواب ، لأنه لم يعامل بالطريقة المناسبة · وكان له كل الحق ليقول لى : ان دراستى بالمدرسة قد اضطربت ، فاما أن تكشفى عن هذا اللغز لولى امرى ، واما أن تعاملينى كما يجب أن يعامل الصبى · » ·· وعندما تحققت من ذلك ، فأننى تاكدت كذلك بالاضافة الى اننى صدمت ، من أن مايلز قد رتب خطة ·

كان هذا التحقق هو الذى منعنى من الذهاب الى الكنيسة · سرت ببطء حول مبنى الكنيسة ، مترددة متحيرة · كان يعرف اننى فى ورطة واننى لا استطيع مساعدة نفسى · لقد كانت بيننا فجوة ، فالأمور أصبحت مختلفة تماما عن ذى قبل · وكانت مسالة اللحاق به

وجلوسى الى جواره على كرسى العائلة فى الكنيسة بمثابة عبء ثقيل على نفسى · ولأول مرة منذ أن عاد الى البيت من المدرسة ، كنت أريد أن أبتعد عنه ·

توقفت بالخارج عند النافذة الشرقية وأخذت أصغى الى الصلوات · وواتتنى فكرة : « لماذا لا أهرب ؟ فهذه فرصة رائعة ·· لن يكون هناك احد ليستوقفنى · يمكننى أن أحزم أمتعتى ·· واعود ادراجى وأهرب · كل ماعلى أن اسرع عائدة الى البيت وألتقط اشيائى القليلة · فكل الخدم تقريبا موجودين بالكنيسة ، ولن يرانى أى أحد كذلك لن يلومنى أحد اذا ما تركت المكان · ليست هناك فائدة ترجى من غيابى لعدة ساعات ؟ ينبغى على الرحيل الى الأبد ، والا فلا داعى لذلك اطلاقا · لو اننى قابلت الطفلين مرة ثانية على مائدة العشاء بعد عدة ساعات قليلة ، فسوف يتظاهران بأنهما صدما ، وأستطيع تصور ماسيقولانه · « ما ذلك الذى فعلته ، ايتها السيدة السيئة؟ لماذا تسببت لنا فى كل هذا القلق ؟ ·· ولن استطيع الاجابة على مثل هذا السؤال ، ولا استطيع ان انظر الى وجهيهما

الجميلين عندمـا يسالان هذه الأسئلة · هذا بالضـبط مايتحتم على أن افعله لو اننى بقيت فى البيت ·

غادرت فناء الكنيسة على الفور ، وعدت مسرعة خلال الحديقـة الى « بـلاى » ·· وفى الطريق اخذت اتدبر الموضوع مرة ثانية ، وفى الوقت الذى وصلت فيه الى البيت كنت قد قررت أن اغادره · كانت فرصـة عظيمة بالنسبة لى ان افعل ذلك · كان البيت هادئا جدا ولم اقابل اى احد · لو اننى غادرت المكان على هذا النحو ، فلن تكون هناك اى مشاكل ، ولا كلمات غاضبة ، ولا وداع حزين · لابد ان اسرع بالطبع ، وان احصل على عربـة تنقلنى الى المحطة ·

وفى الصالة باغتتنى صعوبة الحصول على عربة ، فجلست على احدى درجات بداية السـلم · وشـعرت بالاجهاد والوهن ·لكن ذكرى شهر مضى جعلتنى اجلس معتدلة ·

لقد كانت هنا ، على نفس درجة السلم فى الظلام ، هنا حيث رايت تلك المراة المرعبة ، التى بدت فى تلك اللحظة

وكانها مثقلة بالشر كما كنت انا مثقلة بمشـاكلى الآن · وقفت وصعدت باقى درجات السلم ··

اتجهت ناحية حجرة الدراسة حيـث كان لى بعض الأشياء فيهـا أردت أن آخذها معى · فتحت البـاب ، واكتشفت فى ومضة اننى لم افقد قوتى لرؤية الأرواح الشريرة · واشتعلت مقاومتى مـرة ثانية وكانها لهيب بداخلى ·

فى وضـح النهار كانت هناك امـراة جالسة على منضدتى ! ·· ولو لم اكن رايت الآنسة جيزيل من قبل ، لقلت انها احدى الخادمات تستريح بعد تنظيف الحجرة · كانت يداها تدعمان رأسها ، والاجهاد يبدو واضحا عليها جدا · وعندما دخلت الحجرة ، لم تتحرك ، لكن بعد مضى لحظة غيرت وضعها بهدوء ، ثم بدت لى تماما مثلما رايتها فى المرتين السابقتين ·

نهضت ·· لكن ليس لأنها سمعت خطواتى ·· لكنها نهضت كما لو ان حزنها كان هو الشىء الوحيد الذى تعرفه

كانت المربية السابقة تقف على بعد اثنى عشر قدما منى ، صورة من الخديعة · نظرت اليها عن قرب فرأيت شبحا يتشبح بالسواد ، شبحا أسود كسواد الليل · كان تعبيرها مزيجا من جمال حزين ويأس كامل · عندما تطلعت الى بدا فى عينيها كانهما تقولان ان حقها فى الجلوس على منضدتى يساوى تماما حقى فى الجلوس عليها · وعندما مرت هذه اللحظات انتابنى احساس غريب بان حقها كان اكبر من حقى بكثير · قاومت ذلك الاحساس بقوة حتى اننى لم استطع مقاومة صراخى : « انت ايتها المراة المرعبة ، ايتها المراة البائسة ! » وسمعت كلماتى تتردد عبر الردهة وعبر البيت الخالى ··

نظرت الى كما لو انها قد سمعتنى · ثم اخذ شبحها يتلاشى بسرعة ويختفى · وفى اللحظة التالية لم يكن هناك شىء سوى اشعة الشمس ، واحساسى بانه يجب على ان ابقى فى « بلاى » ··

- ١٦ -

عندما عاد الآخرون من الكنيسة توقعت تماما أن اجيب على عدة أسئلة · لكن ما حيرنى ، وأدهشنى ان أجدهم قد التزموا صمتا حذرا · وبدلا من التانيب المرح لأننى لم ألحق بهم فى الكنيسة ، لم يقولوا شيئا على الاطلاق بخصوص ذلك · وكذلك السيدة جروز ، كانت صامتة أيضا ، وخمنت من خلال تعبير وجهها ان الطفلين ربما قدما لها رشوة لكى تصمت ·

لكن قبل أن نتناول شاى مابعد الظهر فى ذلك اليوم، وجدت فرصة لأتكلم معها · كانت تجلس امام الفرن فى حجرة المطبخ · كان المكان قد نظف ومسح لتوه وتفوح فيه رائحة خبز طازج · استعدت هذا المشهد وانا اكتب هذه الكلمات ·

فمازلت اذكر السيدة جروز وهى تنظر الى الفرن جالسة على مقعدها ذى الظهر المستقيم · وقالت :

ـ أوه ، أجل ، لقد طلبا منى الا اقول شيئا ، وحتى اسعدهما عندما كانا معى ـ فلقد وعدت بذلك بطبيعة الحال لكن ما الذى حدث لك ؟ »

قلت : « لقد ذهبت معكم فقط للتمشى · فقد كان يتعين على أن أعود ثانية الى البيت لمقابلة صديق » ·

اندهشت : « صديق ؟ لا أعرف أن لك ··· »

ـ أوه ، نعم ، لدى أصدقاء قليلون ·· لكن هل أعطاك الأطفال مبررا لعدم قول أى شىء ؟

ـ نعم ، قالا ان ذلك افضل بالنسبة لك ·· هل تفضلين ذلك ؟ !

الا أن ملامح وجهى جعلتها تشك فى ذلك فقلت : « كلا انا افضل ماهو أسوأ » ! لكننى أضفت بعد لحظة : « هل قالا لك عن السبب الذى يجعلنى افضل ذلك ؟ »

ـ كلا ، لكن سيدى مايلز قال ؟ لاينبغى أن تفعل شيئا سوى الذى تفضله ! ·

ـ حقيقة ، أتمنى أن يكون صادقا ! وماذا قالت فلورا ؟

ـ كانت فلورا فى منتهى اللطف عندما قالت : « أوه بالطبع ، بالطبع » ·· وقلت انا نفس الشىء !

فكرت للحظة : « وانت كذلك فى منتهى الظرف ـ لكن لايوجد أسرار بينى وبين مايلز الآن !

ـ « أسرار ؟ » ·

ونظرت الى متحيرة ·

ـ لايهم · فلقد قررت أن أعود الى البيت كان لدى حديث مع الآنسة جيزيل !!

وفى اللحظة التى سمعت فيها السيدة جروز هذه الجملة ، اتسعت عيناها ، لكنها قالت فى هدوء تام :

ـ حديث ؟ هل تقصدين انها تحدثت اليك ؟

ـ لقد تحدثت الى بوضوح تام بعينيها · عندما عدت الى البيت كانت تجلس على منضدتى بحجرة الدراسة !

ـ ما الذى تعتقدين أنها كانت تريد أن تقوله ؟

ـ انها تعانى من عقاب فظيع !

ـ أتقصدين ذلك العقاب ···

ولم تستطع المرأة المسكينة أن تكمل سؤالها ·

ـ ··· ذلك العقاب الذى وعد به الله الأشرار ! ·· ولهذا السبب فهى تريد أن ···

وترددت فى هذه اللحظة ولم استطع مواصلة كلامى ، لكن رفيقتى بقصور خيالها شجعتنى على مواصلة الكلام ·

ـ اجل ، هى تريد ···

ـ هى تريد فلورا ·· **لكى تشاركها هذا العقاب !** · لكن وكما قلت لك ، هذا لايهم · فلقد اتخذت قرارى !

سألتنى : « ما الذى قررته ؟ »

ـ قررت أن أرسل الى عمهما ·

فصاحت قائلة : أوه يا آنسة ، افعلى ذلك · افعلى !

ـ سافعل ·· سافعل ! فهذا هو السبيل الوحيد الآن ·· مايلز يعتقد أننى أخشى فعل ذلك ، ويأمل أن يحصل على كسب جديد من خلال ذلك · لسوف يكتشف كم هو مخطىء اجل ، اجل ، سوف أخبر عمه ·· وفى حضور الصبى اذا لزم الأمر · انها ليست غلطتى أن مايلز لم يعد الى المدرسة عندما ···

فهمست لى : « نعم ، يا آنسة » ·

ـ ··· وهناك مبرر فظيع !

واصبح هناك العديد من « المبررات » الواضحة للسيدة جروز · ·

ـ لكن ·· أى ·· مبرر ؟ !

ـ ماذا ، ذلك الخطاب من ناظر المدرسة !

ـ وهل ستطلعين عمه عليه ؟

ـ كان ينبغى أن افعل ذلك عندما تسلمته ·

فقالت السيدة جروز بحسم : « كلا ، كلا · »

فواصلت كلامى : « ينبغى ان اشرح له ، باننـــى لن استطيع تحمل مسئولية البحث عن مدرسة اخرى لطفـل سبق أن طرد ٠٠٠ »

فقالت بصوت عال : « لكن لماذا طرد ؟ »

ـ لسوء سلوكه ٠٠ ماذا غير ذلك ؟ ٠٠ فهو مجتهد وفى منتهى الجمال ؟ هل هو غبى ؟ هل هو غير منظم ؟ هـل هو مدلل ؟ هل هو سيء المزاج ؟ كلا ٠٠ ليس فيه اى شيء من ذلك ٠٠ اذن فلابد أن يكون السـبب فى ذلك سـوء سلوكه ، وفى الحقيقة فهذه غلطة عمهما ، لأنه ترك اناسا يعيشون هنا ، من امثال كورينت و ٠٠٠ »

فشحب لونها وقالت : « اوه ، لم يكن يعرفهمـــا فى الحقيقة ٠ الغلطة غلطتى » ٠

فاجبتها : « حسن ، لن تعانى من ذلك ٠ »

فقالت بحسم : « ولن يعانى الأطفال من ذلك »

وحدث صمت للحظة ، **وتطلعت كل منا للأخـــرى :** « اذن ، ما الذى سأقوله له ؟ »

ـ « لن تكونى فى حاجة لان تقولى له اى شيء ٠ سوف اخبره أنا ٠ »

ـ تقصين أنك ستكتبين له ؟

ثم تذكرت انها لا تستطيع القراءة وبالتاكيد لايمكنها الكتابة ٠ فاستدركت بسرعة : « وكيف ستخبرينه ؟ »

ـ ساقول لناظر الضيعة ٠ وهو يكتب اليه ٠

ـ « وهل يرضيك أن يكتب هو حكايتنا ؟ »

وأبديت أسفى لهذا السؤال لاننـى لـم اكن اود أن اجرحها ٠ واندفعت الدموع الى ماقيها : « أوه ، يا انسة . اكتبى انت اليه ! » ٠

ـ « لا بأس ٠٠ الليلة » ٠

قلت ذلك ثم تركتها ٠٠٠

- ١٧ -

شرعت ذلك المساء وانا فى حجرتى فى البدء بالكتابة فتناولت ورقة وجلست اكتب ، لكننى أخذت اتطلـــع الى الورقة طويلا ·· تغير الجو ثانية · وهبت ريـــح قوية وأخذت تمطر بشدة · كانت فلورا ترقد نائمة الى جوارى وبدت فى منتهى الوداعة فى سريرها الصغير ، وتساءلت عما اذا كان مايلز نائما هو ايضا ؟

نهضت وتناولت المصباح · خرجـــت من الغرفة · عبرت الردهة وانصت للحظة عند باب غرفة نومه · كنت اتسمع لأى صوت يدلنى على انه كان متيقظا · وفى اللحظة التالية سمعت صوتا ، لكنه لم يكن الصـــوت الذى كنت اتوقعه · سمعت صوته ينادى : « هـــاى ، انـــت يامن بالخارج ··· ادخل ! » ·

دخلت والمصباح فى يدى فوجدته فى السرير · كان يقظا تماما ومبتهجا جدا · سألنى : « ما الذى تتجولين من اجله ؟ » ·

وقفت بالقرب من رأسه والمصباح فى يدى : « كيف عرفت اننى بالخارج ؟ »

ـ أوه ، سمعتك بالطبع · هل تظنين انك تسيرين فى هدوء ؟ ·· انت مثل مجموعة من الفرسان !

وضحك ··

ـ كنت اظن انك نائم ·

قال وهو يمد يده الى : « كلا ، كنت مستلقيا فقط ، افكر · »

وضعت المصباح بجواره على المنضدة ثم جلست على حافة السرير وقلت : « فى اى شىء كنت تفكر ؟ »

ـ افكر فيك بالطبع ·

ـ آه ، لطيف أن أعرف أننى اشغل فكرك · لكننى افضل ان تنام بالليل ·

ـ وأنا افكر كذلك فى تلك الأمور الغريبة لكلينا ·

ولاحظت برودة فى يده القوية : « اية أمور غريبة ، يامايلز ؟ » ·

ـ اوه الأسلوب الذى تتبعينه فى تربيتـــى · وكل مايتبع ذلك !

التقطت انفاسى لبرهة · واتضح لى من خلال ضوء المصباح انه يبتسم ·

وسألت : ماذا تقصد وبكل مايتبع ذلك » ؟

ـ اوه ، أنت تعرفين ·· انت تعرفين !

لم أستطع قول اى شىء لفترة · كان كل منا ينظر الى الآخر ، وكنت ما ازال امسك بيده · ثم قلت : « بالتأكيد سوف تعود الى المدرسة ، اذا كان ذلك كل ماتريده ·· لكن ليس مدرستك القديمة ، يجب علينا أن نبحث عن مدرسة اخرى ، مدرسة افضل ·· كيف كان يتسنى لى أن اعرف ان هذا هو السؤال الذى يقلقك ؟ فانت لم تقل لى ابدا · انت لم تتحدث عن ذلك الموضوع مطلقا ! »

كان يصغى الى باهتمـــام · وبدا بوجهـــه الجميل الابيض الرقيق وكانه طفل يرقد فى سرير بمســـتشفى · وعندما خطرت هذه الفكرة براســـى ، تمنيت أن أكـــون الطبيب أو الممرضة الذى بيديه القدرة على شفائه · وعلى أى الأحوال ، من المحتمل اننى استطيع المساعدة ! · « هل تعلم انك لم تقل لى أبدا كلمة واحدة عن مدرســـتك ·· اقصد مدرستك القديمة ·· لم تذكر لى أى شىء عنها على الاطلاق ! » ·

لم يجب على الفور لكنه بدا متحيرا · تصورت انه كان يحاول أن يكسب وقتا · وانتظر كما لو انه يتوقع منى المساعدة ·

ثم قال اخيرا : « الم اقل لك اى شىء ؟ »

وكان هناك شىء ما فى صوته ، وفى تعبير وجهـــه عندما قال ذلك ·· جعلنى احس بالألم فى قلبى · وتاكدت عند ذلك ان قوة التاثير المرعب كانت مسيطرة عليه · كان يحاول التظاهر بان كل شىء على مايرام ، وانه ليس هناك شىء غريب أو غير عادى يحدث له · لكن قدراته

الذهنية كطفل وقوة احتماله ، لم تفلح فى أن تحجب هذا الادعاء ·

ــ كلا ، انت لم تقل لى اى شىء منذ اليوم الـــذى جئت فيه الى البيت ·· لم تذكر لى أى شىء عن مدرسيك أو عن أصدقائك فى المدرسة ·· لم تقل لى أبدا عن أى شىء حدث لك فى المدرسة · لذلك فانت ترى أننى أعرف عنك القليل جدا أو عما يدور فى ذهنك واســـتطيع بكل صدق أن اقول ــ حتى تكلمت معى هذا الصباح ــ بأننى لم أسمع ابدا كلمة عن حياتك ··

واحسست بكل تاكيد ان التاثير الخارجى ، الذى يرتبط بكوينت ربما كان يسمم حياته · وسهل هذا الاحساس المسألة بالنسبة لى ، فأخذت أعامله على أنه شخص كبير ، أو على قـــدم المساواة ·· وبناء على ذلك فقد **قلت لـــه :**

« كنت أعتقد انك تريد أن تمضى فى حياتك بالنحو الذى أنت عليه » ·

عندما قلت ذلك تغير لون وجهه قليـــلا · وعلى أى

الأحوال فقد هز رأسه ببطء وقال : « انا لا اريد ٠٠ لا اريد انا أود أن اهرب بعيدا ! »

— هل تعبت من وجودك فى « بلاى » ، ٠٠ ؟

— أوه ، كلا ، انا أحب « بلاى » ٠٠ !

— طيب ، اذن ماذا ٠٠٠ ؟

— أوه ، انت تعرفين مايريده صبى فى مثل سنى !

واحسست اننى لا اعرف بالضبط مثلما يعرف هو . وكانت فرصتى لأكسب بعض الوقت الآن فسألته : « هل تريد ان تذهب لعمك ؟ » ٠٠ فهز رأسه مرة ثانية وقال : « آه ، هذا يجعل الأمور سهلة بالنسبة لك . أليس كذلك ؟»

وكنت انا التى تغير لونها هذه المرة على ما اعتقد . وظللت صامتة للحظة . ثم قلت : « لكنى لا اريد للأمور أن تكون سهلة » .

— لن تكون سهلة حتى لو رغبت . لابد أن يحضر عمى الى هنا ولابد ان تطلعيه على كل شىء بالضبط !

فأجبت بشىء من القوة : « لو فعلنا ذلك ، فسوف يتحتم عليك أن تغادر « بلاى » بالتأكيد »

— حسن ، ألم تفهمى أن ذلك بالضبط هو ما اريده ؟ فعليك أن تقولى له ان تعليمى قد أهمل . لابد أن تقولى له ذلك بشكل مبالغ فيه !

تكلم بجسارة ، وكنت أرد عليه بنفس الطريقة : « وما قدر الذى ستقوله له ، يامايلز ؟ هناك أشياء سوف يسألك عنها ! » .

فكر فى ذلك ثم قال : « محتمل جدا . لكن أى أشياء ؟»

— سوف يسألك عن كل الأشياء التى لم تقلها لى أبدا . فلابد أن يقرر ماذا سيفعله بالنسبة لك . حيث لايستطيع أن يعيدك ٠٠٠

فقاطعنى : « لا أريد العودة ! أريد مجالا جديدا ! » .

قال ذلك بابتهاج ، بل بمرح . لكننى تخيلت خيبة الأمل الكبرى لا حتمال عودته الى « بلاى » فى نهاية الثلاثة شهور . وكنت على يقين أنه سيعود من مدرسته

الجديدة بنفس الادعاء ، والكلام المنمق ـ مع مزيد من عدم الأمانة · عرفت فى تلك اللحظة ، أنه لن يكون فى مقدورى ابدا تحمل ذلك ، وجعلنى ذلك افقد السيطرة على مشاعرى فاحطته بذراعى **وقلت** : « ياعزيزى مايلز ··· »

كان وجهى قريبا لوجهه فتركنى اقبله · **وقال** : « حسن ياسيدتى العزيزة ؟ ! » ·

ـ الا يوجد شىء ·· أى شىء على الاطلاق تريد أن تقوله لى ؟

استدار ناحية الحائط ورفع يده وتفحصها « لقد قلت لك ـ لقد قلت لك هذا الصباح » ·

وشعرت بالأسى الشديد لـه : « انت لا تريد منى أن امتم بك · هل هذا كل شىء ؟ » ·

استدار وتطلع الى ، كما لو أنه كان سعيدا باننى قد فهمته ، رغم دهشته الى حد ما · ثم قال برقة : « هذا كل شىء ·· ارجو أن تتركينى وحدى ! » ·

فأرحته ونهضت ببطء · ويعلم الله اننى لم اكن أريد ازعاجه · لكن مشاعرى لم تطاوعنى فى تلك اللحظة بالا امتم به لأنه طلب منى ذلك · كانت تلك هى الحال التى انا عليها عندمـا أدرت ظهرى عنه ، تاركة اياه ، فاقدة اياه · قلت له :

ـ « لقد شرعت فى كتابه خطاب لعمك الآن » ·

ـ حسن ، اكتبيه اذن !

انتظرت دقيقة : « ماذا حدث قبل ذهابك الى المدرسة ؟ ·· وماذا حدث اثناء وجودك هناك ؟ »

كان مايزال ينظر الى لكنه لم يجب على الفور · ثم ، وكانه لم يفهم ، اخذ يردد : « ماذا حدث ؟ ! »

ولأول مرة لاحظت اختلافا واضـحا فى صـوته · فاحسست بشكل مرهف أن لديه رغبة فى الكلام · وجعلنى ذلك اركع على ركبتى بجوار سريره وانتهز فرصة سنحت لساعدته : « مـايلز ، مايلز ، آه لو تعـرف كم اود أن

اساعدك هذا كل ما اريد أن افعله · انا لا أريد أن أسبب لك ألما أو ضررا · أنا أريد فقط ان أساعدك ، أن أنقذك ! » ·

بعد لحظة قصيرة تبين لى أنني تحدثت كثيرا · وتلقيت اجابة فى الحال ـ لكنها لم تصدر عن مايلز · انما جاءت من خلال هبة ريح ثلجية باردة شرسة ··· اهتزت الغرفة ، كما لو أن النافذة قد انفتحت بعنف · وندت عن الصبى صرخة عالية ربما تكون صرخة فرح او خوف فظيع · قفزت ناهضة ·· وكانت الحجرة مظلمة تماما · وبقى كل شىء فى الحجرة للحظات على ذلك النحو ، وتعودت عيناى على الظلمة · فلاحظت أن النافذة كانت مغلقة باحكام والستائر مسدلة عليها ·

فصحت : « لماذا ، انطفأ المصباح ؟ ! »

فقال مايلز : « أنا الذىّ أطفأته ! »

- ١٨ -

فى اليوم التالى بعد انتهاء الدروس ، **قالت لى السيدة جروز فى هدوء :** « هل كتبت الرسالة ، ياآنسة ؟ »

ـ نعم ·· كتبتها !

لكنى لم اقل لها فى ذلك الوقت أن الخطاب معنون وجاهز لارساله للبريد ، وانه مازال فى جيبى · فقد كان هناك متسع من الوقت قبل أن يأخذه المرسال الى القرية ·

كان تلميذاى قد اديا واجباتهما بكل امتياز هذا الصباح · ويبدو كما لو أنهما قد قررا أداء واجبهما بشكل أفضل من المعتاد لاسعادى ·· وذلك على احتمال أننى قد اكون مازلت متضايقة من أحداث أمس · وكان مايلز بصفة خاصة مغرما بأن يُرينى كيف آن الواجب كان

سهلا بالنسبة له ليصفح عن ضعفى • كان هذا الطفل على ما أذكر ، يعيش حقيقة فى تضاد بين نوع من الجمال والبؤس ، لا تستطيع الكلمات ان تصفه • كان متفوقا فى كل شىء يفعله ، رغم أن اى شخص غريب قد يعتقد انـه مجرد صبى صغير ساذج •

ولقد عرفته جيدا الآن ، ودائما ماكنت اتساءل عمـا فعله ليستحق الطرد من المدرسـة • كأن من الممكن ان اصدق ذلك ، ابان علاقته مع كوينت ، فقد تعلم كيف يستطيع تخيل الشر • لكننى رفضت أن أصدق ، دون برهان ، أنه قد قام بارتكاب أى فعل شرير ••

بعد الغداء فى ذلك اليوم المزعج بدا يتصرف بشـكل مهذب تماما •• جاء الى وسـالنى ان كنت أود منـه ان يعزف على البيانو مدة نصف ساعة •• كان ذلك مثالا لسلوكه الجيد ، وذوقه الرفيع ، ونبله • وكان طلبه هذا يعنى نفس المعنى لو كان قد قاله لى : « ان الانسان المهذب لايحاول أبدا استغلال ميزة ما ليحصل منها على المزيد • انا أعرف ما تقصدينه الآن •.أنت تعنين اننى اذا لم أسبب



وعزف كما لم يعزف من قبل •

لك مشكلة مع عمى ، فسوف تتوقفين عن الاهتمام بـــى ومراقبتى · ولن تجعلينى قريبا منك · سوف تدعينى أغدو وأروح كما أشاء · وعلى سبيل المثال ، ها أنا أقبل عليك الآن ! حقيقة أنا استمتع بوجودى معك · لكن فى نفس الوقت يجب أن يكون لى الحق فى التصـــرف بطريقتى الخاصة » ·

ولك أن تتخيل أى الأمرين أفضل ، أن أناقش ذلك معه ، أم أعود أدراجى ببساطة الى حجرة الدراسة ·· جلس الى البيانو القديم وعزف كما لم يعزف من قبل أبدا · وإذا كان هناك أحد يعتقد أنه ماهر فى تســـديد الكرة نحـو الهدف ، فأنا أتفق معه تماما · أقول ذلك بسبب الوقت الذى ضيعته فى الانصات الى مايلز ، عندما كان يعزف على البيانو · كان يعزف فى منتهى الجمال حتى أننى كنت لا أعى شيئا سوى الموسيقى وتأثيرها على ·

وبدا الزمن وكأنه توقف · وعندما عادت الى حواس العادية ، شعرت أننى قد نمت على مكتبى · وبالطبع أنا لم أنم حقيقة ، لكننى فعلت ماهو أكثر سوءا ـ لقد نسيت ،

أين فلورا ؟ وعندما سألت مايلز واصل عزفه لمدة دقيقة · ثم قال : « لماذا ، كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ » ثم ضـحك فجأة ·

ذهبت مباشرة الى حجرتى ، لكن أخته لم تكن هناك ، وقبل أن أنزل الى الدور الأرضـى ، فتشـت فى الغرف الأخرى · وعندما لم أجدها ، ذهبت لأبحث عن السـيدة جروز ، وأنا أشعر بالتأكيد أن الطفلة لابد أن تكون معها · كانت السيدة جروز تجلس كعادتها أمام الفرن فى حجرة المطبخ ، وأجابت على سؤالى بهزة خائفة من رأسـها · فلقد كانت تعتقد أننى أخذت الطفلين معى عندما عـدت الى حجرة الدراسة بعد الغداء · وكان من الطبيعى جدا أن تفكر على هذا النحو ، لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى أدع فيها فلورا تغيب عن بصرى ، دون ترتيب سابق لذلك ·

قالت السيدة جروز : « ربما تكون مع الخدم ، ياآنسة هل أذهب لأراها ؟ »

ـ أرجو أن تفعلى ، وأنا سوف أبحث عنهـــا عند

واجهة البيت ·· لابد أن نخفى قلقنا على قدر ما نستطيع · سوف نتقابل فى الصالة بعد عشر دقائق !

لكن عندما تقابلنا فى الصالة بالفعل . لم يكن هناك شىء لنقوله · وبدت السيدة جروز فى منتهى الجـزع الآن ·

فسألتنى : « هل فتشت كل الغرف الموجودة فى الطابق الأعلى ؟ » ··

فقلت : « أنا لا أظن أنها فى البيت · انها على مبعدة من هنا · أعتقد انها خرجت ! » ··

ـ خرجت ؟ دون قبعة ؟

ـ أليست تلك المرأة دون قبعة دائما ؟

ـ أتظنين أنها معها ؟

فصرخت قائلة : « انها معها ! لابد ان نعثر عليهما »

كانت يدى فوق ذراع صديقتى ، فجذبتها ناحية الباب لكنها تحركت ببطء **وسألت** : « وأين سيدى مايلز ؟ »

ـ « أوه ، انه مع كوينث · من المحتمـــل انهما فى حجرة الدراسة » ·

ـ « أوه ·· » ولم تستطع أن تقول المزيد ، وثبتت فى مكانها غير قادرة على الحركة ·

واصلت كلامى : « لقد أوقعا بى فى شرك · نجحت خطتهما · فلقد اكتشف أروع وسيلة لشـغلى على حين تكون هى قد خرجت » ·

ـ أروع وسيلة ؟ !

رددتها السيدة جروز بصوت متحير ·

ـ أو أسوأ وسيلة : والفرصة متاحة له الآن · لكن تعالى !

كانت تتطلع الى أعلى السلم بلا حول ولا قوة : « وهل ستتركينه وحده ··· »

ـ « وحده مع كوينت ؟ ـ اجل · فأنا لايهمنى ذلك الآن » ·

انتهت هذه اللحظات بأن أمسكت بيدى ، وما أن فعلت ذلك حتى منعتنى من التحرك : « لكن لماذا لاتهتمين ؟ هل ذلك بسبب الخطاب ·· »

وبدلا من أن اجيبها تحسست جيبى وأخرجت الخطاب ورفعته امام نظرها · ثم خلصت نفســـى منها واتجهت لأضعه على المنضدة فى الصـــالة الكبيرة · **وقلت وأنا عائدة اليها** : « سيأخذه المرسال الى البريد » ··· وصلت الى باب الصالة وفتحته · خرجت ووقفت على الســـلم الخارجى ·

كانت رفيقتى ماتزال مترددة · من قبل كانت هنـــاك العاصفة بالليل ، وانقضى الصباح المبكر ، وبعد الظهر كان الجو كئيبا ومليئا بالسحب ، نزلت على درج السلم بينما كانت تقف على مدخل الباب · **سألتنى** : « ألن ترتدى معطفك وقبعتك ؟ »

ـ كلا · فالطفلة خرجــت دون قبعـــة او معطف · لا استطيع الانتظار لارتدائهما ·· اذ كنت ستفعلين ذلك · فينبغى على أن أتركك · ويمكنك ان تبحثى عنها فى الطابق العلوى مرة ثانية !

فقـالت : « الطابق العلوى ؟ معهما ؟ » · واندفعت السيدة جروز لتنزل السلم لتذهب معى ·

- ١٩ -

اتجهنا الى البحيرة مباشرة · وكان الطفـــلان قد اصطحبانى مرة أو مرتين فى نزهة بقارب قديم موجود على شاطىء البحيرة كان مخصصا لاستعمالنا ·

لم يكن ذلك المكان بعيدا عن البيت ، لكن فكرة انتابتنى بأن فلورا ليست قريبة من البيت · فهى لم تهرب منى من أجل مغامرة بسيطة ·

أحيانا كنت أسير أنا وفلورا على ضفاف البحيرة ، ومنذ ذلك اليوم الذى ظهرت فيه الآنسة جيزيل هناك ، لاحظت الاتجاه الذى كانت الطفلة تفضل السير فيه اثناء نزهاتنا · فأسرعت انا والسيدة جروز الى ذلك الاتجاه ·

ـ نحن نتجه ناحية البحيرة ، ياآنسة · هل تظنين أنها فى ···

وانتاب القلق رفيقتى مرة ثانية من جراء الفكرة التى طرأت على ذهنها ·

ـ فى المساء ؟ كلا · لا أظن ذلك · وعلى أى الأحوال فالبحيرة ليست عميقة جدا · أنا أعتقد اننا سنجدها فى المكان الذى رأينا فيه الآنسة جيزيل أول مرة ·· !

ـ عندما تظاهرت فلورا بأنها لم ترى ··

ـ أجل ·· وقد كنت دائما على يقين أنها تريد العودة الى هناك وحدها · وقد رتب لها شـــقيقها ذلك بعناية تامة ·

توقفت السيدة جروز عن السير ، **ووقفت ســـاكنة :** « هل تعتقدين حقيقة ان الطفلين يتحدثان عنهما ؟ »

فاجبت على الفور وبكل تاكيد : « انهما يقولان اشياء تصدمنا وتصيبنا بالاشمئزاز لو سمعناهما » ·

ـ واذا وجدنا فلورا هناك ··

ـ نعم ؟

ـ فهل تظنين ان الآنسة جيزيل ستكون هناك ايضا ؟

ـ أنا متأكدة من ذلك · وسوف ترين ؟

ـ أوه ، اشكرك !

وبدأت رفيقتى فى البكاء ورفضت ان تتحرك خطوة واحدة ·· وعندما تحققت من ذلك ، مضيت فى طريقى بدونها · لكن فى الوقت الذى وصلت فيه الى البحيرة كانت قد أدركتنى ووقفت خلفى · أعتقد أنها قررت ، أنه مهما يحدث من مخاطر ، فمن الأفضل لها أن تواجهها معى افضل من أن تكون وحدها ·

وفتشنا فى معظم مياه البحيرة ، لكن لم يكن هناك أى اثر للطفلة على الضـــفة التى تقف عليهـــا أو على الضفة البعيدة · وتطلع كل منا للآخر ، وفهمت مايدور فى ذهنها من خلال عينيها ·

هززت راسى وقلت : « كلا ، كلا · لم تسقط فى الماء · لقد اخذت القارب » ·

وتطلعنا الى المكان الخالى المفترض أن يربط فيه القارب ، ثم أخذنا نتطلع عبر البحيرة مرة ثانية ٠

سألتنى السيدة جروز : أين القارب اذن » ؟

ـ الحقيقة التى تؤكد أننا لانراه ، تثبت أنها قد أخذته لقد استعملته لتعبر الى الناحية الأخرى ، ثم عمدت الى اخفائه ٠

ـ هل تعتقدين أن تلك الطفلة ٠٠ استطاعت القيام بذلك وحدها ٠ ؟

ـ هى ليست وحدها ، وفى ظروف مثل هذه لاتكون طفلة ، بل تكون امرأة ٠٠ وامرأة ناضجة !

وأخذت أتطلع بعناية فى أرجاء الضفة الأخرى ، حتى اكتشفت مكانا من الممكن اخفاء القارب فيه ٠ فأشرت لرفيقتى الى المكان ، وقلت لها :

ـ هل ترين مكانا صغيرا مكشوفا هناك ؟ انه فى الغالب مخبأ بجوار تلك الأشجار التى تقترب من حافة المياه ٠ من المحتمل أن يكون القارب هناك !

ـ لكن اذا كان هو ، فأين الطفلة بحق الله ؟

ـ هذا بالضبط مايجب أن نصل اليه !

وشرعت فى السير تجاه الناحية الأخرى من البحيرة ٠

سألتنى بصوت مضطرب : « هل سندور حول البحيرة كلها ؟ »

ـ بالتأكيد ٠ لن يستغرق ذلك أكثر من عشر دقائق ٠ وبالطبع كان سيستغرق وقتا أطول بالنسبة لفلورا ، لذا فقد فضلت أن تستعمل القارب ٠

تبعتنى السيدة جروز ثانية ، وعندما قطعنا منتصف المسافة توقفت لكى تلتقط أنفاسها ٠ كان مشوارا صعبا لأن الأرض لم تكن ممهدة والاعشاب قد نمت فى الممر ، وواصلنا السير بعد عدة دقائق ، وقمت بمساعدتها بقية الطريق ٠ وعندما وصلنا الى ذلك المكان المكشوف على الشاطىء رأينا القارب على الفور ! ٠٠ كان مخبأ ومربوطا الى السور المجاور للماء ٠ وعندما أبصرت المجدافين السميكين القصيرين وهما موضوعان بنظام داخل



هاهـــى .. !!

القارب ، تأكدت من أن ذلك يعد عملا مذهلا بالنســـبة لطفلة عمرها ثمان سنوات ، ومررنا عبر البوابة الموجودة فى السور وتخطينا الأشجار **وصاحت كلتانا على الفور :** « هاهى !! » .

كانت فلورا تقف على مبعدة منا فوق العشب وتبتسم ، كما لو أن العرض الذى قدمته قد انتهى الآن . لكن الشىء التالى الذى فعلته هو أن انحنت وانتزعت حزمة كبيرة من العشب الضار ـ كما لو انها قد حضرت الى هنا لهذا الغرض بالذات .. ووقفت فى انتظارنا وهى ماتزال تبتسم ونحن فى الطريق اليها . ثم تقابلنا ، تقابلنا فى صـمت تام !

كانت السيدة جروز هى أول من كسر هذا الصمت . فركعـــت على ركبتيها ، واحاطت الطفلـــة بذراعيهـــا واحتضنتها بشدة .

ولم أستطع فعل شىء والموقف كذلك ، الا أن أراقب مايحدث ؟ راقبته بعناية فلاحظت ان فلورا كانت تنظر الى

مباشرة من فوق كتف رفيقتى ٠ كان وجهها جادا فى تلك اللحظة ٠٠ غادرته الابتسامة ٠ وجعلنى ذلك احسد السيدة جروز على علاقتها البريئة بالطفلة ٠

وطوال ذلك الوقت لم تقل كلمة ٠ لكن النظرات المتبادلة بينى وبين فلورا افصحت بوضـــوح تام أن كل المبررات لافائدة منها الآن ، وأخيرا نهضت السيدة جروز وظلت ممسكة بيد الطفلة ووقفت الاثنتان قبالتى ٠

كانت فلورا هى أول من تكلم ٠ نظرت الى رأســينا العاريتين **وقالت فى دهشة مفاجئة :** « غير معقول ، أين قبعاتكما ؟ »

فأجبت على الفور : « انهما فى البيت ٠٠ أين قبعتك »

فى تلك اللحظة عادت اليها سعادتها ثانية ، وارضاها هذا الرد ٠ فواصلت كلامها : « وأين مايلز ؟ »

كان ذلك السؤال من قبلها بمثابة دعـــوة للقتال ، وومضت هذه الكلمات وكأنها سيف مشرع بالنسبة لى ٠ وشعرت بحمل ثقيل من القلق ينتفض من فوق كتفى حتى **قبل أن أجيب : « سأقول لك ، لو أنك قلت لى ٠٠٠ »**

ولسبب ما توقفت عن الكلام ٠ **وسألتنى :**

ـ اقول لك ماذا ؟ !

ورأيت مسحة من الخوف على وجه **السيدة** جروز ، لكن المسألة لم تعد تحتمل الصبر أكثر من ذلك ٠ **فكان على أقول لها :**

ـ فلورا ، أين الآنسة جيزيل ؟ !

- ٢٠ -

كانت هذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها ذلك الاسم بينى وبين الطفلة · وبدا وقع ذلك مثل تهشم لـــوح من الزجاج · كما بدت فلورا كما لو اننى ضربتها فى منتصف جبهتها · وندت عن السيدة جروز صرخة عالية ـ مثل صرخة انسان جريح ، واكتمل ذلك بصـــرخة منى بعد لحظات · قبضت على ذراع صديقتى **وقلت** : « انها هناك هناك !! »

كانت الآنسة جيزيل تقف على الضفة المقابلة للبحيرة تماما مثلما كانت تقف فى المرة الأولى · واذكر ، ان أول احساس انتابنى كان احساسا بالفرح ·· بالفرح لأننى أخيرا قد وصلت الى برهان ، فلقد كانت هناك ، وهكذا فانا على صواب ·· ولست بمجنونة أو متهورة · كانت

تقف هناك حتى تراها السيدة جروز المذعورة البائسة ؟ لكن اغلب الظن انها كانت هناك من اجل فلورا ··· كانت لحظة غير عادية بالنسبة لى ·· لأننى لم استطع مقاومة ارسال رسالة شكر صامتة عبر الماء الى شبح تلك المرأة الشاحبة المخيفة !

كانت تقف مباشرة على الجزء المقابل لضفة البحيرة التى غادرناها منذ قليل فقط أنا والسيدة جروز . وتطفح كل بوصة من شكلها وحجمها بالشر ·· الشر التام ! ·· رأيت كل ذلك خلال لحظات قليلة ، كانت السيدة جروز تتطلع اثناءها ببلاهة الى المكان الذى اشـــرت اليــه · واعتقد بالطبع ، انها رأت مارأيته . وكان كل اهتمـــامى ينصب اساسا على فلورا · كنت اريد أن أعرف كيف كانت ستتعامل مع اكتشافى لسرها ·

لكننى صدمت عندما نظرت الى الطفلة · كنت أتصور انها ستبدو مضطربة أو خائفة لكن لم يبد عليها شىء من ذلك · كان تعبير وجهها يظهر فقط أنها فاقدة لمشاعرهـــا تماما · ولم تكن تود بالطبع أن تكشف لنا عن المزيد من

سرها اكثر مما عرفناه بالفعل ، ولذلـــك فلم اكــن على استعداد لتلقى احدى ومضاتها السريعة التى تخرج من عينيها · وقفت هناك دون أدنى حركة من وجهها المتورد الصغير ، ولم تهتم حتى لتنظر للحظة الى الزائرة الموجودة على الطرف الآخر من البحيرة ·

بدلا من ذلك ، اخذت تنظر الى بقسوة شديدة ــ بتعبير كان جديدا تماما ·· كانت نظرة قاسية بدا منها انهـــا تعرفنى ، وانها تتهمنى ، وانها تصدر على حكما ، كل ذلك فى نفس الوقت ·· كانت نظرة ، تبدلت الطفلة من خلالها لتصبح شخصا آخر مخيفا · وأدهشنى انها لم تكن مهتمة بالآنسة جيزيل ، وخاصة عندما تأكدت انها تستطيع أن ترى شخصها الكريه بوضوح تام ·

صحت قائلة : انها هنـــاك ، انت أيهـــا الشـــىء الصغير التعس ··· انها هناك ، وبامكانك ان ترينها مثلما تريننى تماما !

كنت قد قلت للسيدة جروز من قبل ان فلورا لاتكون طفلة فى هذه الاوقات ، لكنها تصبح كامرأة ، امـــرأة

ناضجة . وهذا الوصف كان ينطبق تماما على الحالة التى بدت فيها والطريقة التى كانت تنظر بها الى . تجاهلت كلماتى وكذلك اصبعى الذى يشير ، ورمقتنى بنظرة كراهية عميقة جدا . وظل هذا التعبير على وجهها .

ولقد صدمت هذه المرة من تصرفات فلورا ، اكثر من اى مرة سابقة ، وحتى تزداد الأمور سوءا فقد كان على أن اتعامل مع انفجارة صدرت من السيدة جروز فجاة . فلقد احمر وجهها وبدا كما لو أنه يملأ المكان امامى . وسمعت صوتها عاليا معترضا : « ماهذه الصدمة الفظيعة التى سببتها لى ، ياانسة ، بحق الله ، أين ذلك الذى ترينه ؟ »

ولم أستطع الا أن اضغط اكثر على ذراعها ، لأنها اثناء ما كانت تتكلم كان شبح الآنسة جيزيل القبيح يقف واضحا دون خوف . لقد رأيته بالفعل لمدة دقيقة ، وظل باقيا اثناء كلامى وحتى اشرت بأصبعى وصحت : ألا ترينها بالضبط كما رأيناها ؟ هل تعنين انك لاترينها .. ولاحتى الآن ؟ انها ضخمة كالسفينة الحربية ! انظرى ، ياعزيزتى ، انظرى ... !

ونظرت مثلما فعلت أنا ، لكنها هزت رأسها ، وصدر عنها صوت يعبر عن الفشل واليأس والرثاء .. الرثاء من اجلى ! .. وكنت اعتقد انها ستكون سعيدة لمعاونتى لو كان فى مقدروها ذلك . وكنت فى هذه اللحظة فى أمس الحاجة الى عون على قدر ما يمكن .. لكن ثبت بالقطع .. ثبت انه ليس لديها القدرة اللازمة لرؤية الأشباح الشريرة : واصبح موقفى تجاهها ضعيفا جدا . وتصورت أن الآنسة جيزيل قد تحققت من هزيمتى أو عرفت ، كما عرفت انا ، أن مشكلتى اصبحت الآن مشكلة مزدوجة كما كانت من قبل . فقد أصبح من المحتم على أن اتعامل فلورا ومع مايلز على انفراد تماما .

لم تضيع السيدة جروز وقتا فى كشف ابعاد المسالة بالنسبة لى ـ وبالنسبة لفلورا فقالت : « انها ليست هناك ياسيدتى الصغيرة ، ولايوجد اى احد هناك ... وانت لم ترى اى شىء ابدا ، هل رأيت ، ياعزيزتى ؟ كيف يتسنى للآنسة جيزيل المسكينة .. أن تظهر ثانية بعد أن ماتت ودفنت ؟ نحن نعرف ذلك ، اليس كذلك ياعزيزتى ؟ » وأخذت الطفلة بين ذراعيها ثانية . وقالت : « الأمر كله مجرد

.خطأ وازعاج ونكتة ·· وسوف نعود الى البيت بأسرع مايكون ! »

وافقت الطفلة بسرعة ووقفت الاثنتان متحالفتان ضدى · ولم يتغير تعبير فلورا تجاهى ، وتوسلت الى الله أن يغفر لى مارأيته : جمالها الطفولى الآخاذ وقد غاب عنها · ولقد قلت ذلك من قبل ·· كانت قاسية ، وقبيحة الى حد ما ·

· **وقالت** : « أنا لا أعرف ماذا تقصدين ؟ أنا لم أر أى شخص ·· لم أر أى شخص اطلاقا ! ·· » ثم لوت وجهها ومضت **قائلة** : « انت قاسية ·· انا اكرهك ! »

واحتمت فى السيدة جروز بعد أن قالت ذلك الكلام **واخفت** وجهها الصغير المبتئس فى جونلة السيدة جروز الفضفاضة · ومن خلال الجونلة صدر عنها بكاء مكتوم يائس **وأخذت تصرخ** : « خذينى بعيدا ـ أوه خذينى بعيدا ، عنها ! »

فقلت لاهثة : « بعيدا عنى ؟ »

فصاحت باكية : « بعيدا عنك ـ بعيدا عنك ! »

واكتسى وجه السيدة جروز بمسحة من الخجل بسبب **ذلك** · ولم أستطع فعل شىء سوى أن أدير رأسى **ثانية تجاه** شبح المرأة على الضفة المقابلة · كانت ماتزال تقف هناك دون حركة ، كما لو انها تنصت الى أصواتنا · عندئذ **تيقنت** أن ظهور الآنسة جيزيل بالنسبة لى ، وعدم **ظهورها** التام بالنسبة لسيدة جروز ، يحمل نفس النتيجة بالضبط ، وهو تحطم كل آمالى فى انقاذ فلورا · لقد كانت الطفلة تتحدث وكأن كل كلمة من كلماتها الصغيرة التى تحمل روح الكراهية ، آتية عبر البحيرة · **هززت رأسى بحزن وقلت** : « لقد فقدتك يا فلورا ·· ربما كانت تراودنى الشكوك بخصوص ذلك فى الماضى ، لكنها الآن قد ولت · لقد تدخلت فى خططها » ·

ثم تطلعت عبر الماء الى تلك الشاهدة الشريرة ، **وواصلت كلامى** : « لقد دلتك على أسهل وأكمل أسلوب لكى تهزمى أسلوبى · لقد بذلت مافى وسعى لأنقذك ، لكننى فشلت · وداعا ! » ··

التفت الى السيدة جروز وصحت فيها: «هيا ، اذهبي!» .
كانت مضطربة جدا وأحسست تماما بان هناك شيئا خطيرا قد حدث · لكنها اخذت الطفلة الصغيرة وعادت من نفس الطريق الذى جئنا منه ، وبأسرع ماتستطيع ·

لا اعرف بالضبط ماذا حدث لى أولا بعد ان تركانى · لكن بعد ربع ساعة شعرت فجأة اننى بردانة ومبتلة ووجد تنفسى منطرحة على وجهى فوق الأرض · لابد اننى القيت بنفسى على الأرض واخذت ابكى وابكى · ويبدو اننى ظللت كذلك ابكى لفترة طويلة · عندما نهضت اخيرا كان الظلام على وشك ان يحل · تطلعت الى البحيرة الرمادية · وسرت ببطء عائدة الى البيت ·

عندما وصلت الى البوابة الموجودة فى السور ، دهشت لاكتشافى أن القارب اختفى ، اذن ففلورا ما زالت تدير الأمور ! قضت الليل مع السيدة جروز ، اعتقد على الأقل انها فعلت ذلك ، رغم اننى لم ار ايا منهما اثناء عودتى ·

اما مايلز فقد كان معى لفترة لاباس بها من المساء ،

وحقيقة فقد بقى ذلك المساء فترة أطول مما كان يقضيها معى عادة من قبل · عندما عدت الى البيت ، لم أبحث عنه · ذهبت مباشرة الى غرفتى لأغير ملابسى ، فلاحظت على الفور أن حاجيات فلورا قد اخذت من الحجرة · بعد ذلك تناولت الشاى كالعادة بجوار مدفأة حجرة الدراسة · ولم اسال الخادمة التى احضرت الشاى عن غياب الطفلين ، فمايلز قد حصل على حريته الآن ·· وبامكانه ان يتحصل على الكثير منها كما كان يريد ·

لكن لايبدو انه يريد الكثير جدا · اذ عاد الى حجرة الدراسة حوالى الساعة الثامنة وجلس معى فى صمت · فى ذلك الوقت كنت قد اطفأت المصباح وقربت مقعدى الى جوار المدفأة · كنت اجلس فى الظلام مع افكارى عندما حضر · جلس معى ، وكنت اشعر تماما انه كان يود أن يكون معى ·

- ٢١ -

في صباح اليوم التالى حضـــرت الى حجرة نومى السيدة جروز مبكرا وكانت تحمل انباء سيئة ·· يبدو ان فلورا مريضة · تزايدت عليها الحمى اثناء الليل وابقتها متيقظة ، بكت كثيرا ، لم تكن على الأطلاق مشغولة بأفكار الآنسة جيزيل ، انما كان كل ماتريده أن تظل بعيدة عنى ! نهضت على الفور وبدأت أوجه بعض الأسئلة · بعد أن تبين لى أن السيدة جروز كانت على استعداد تام للاجابة عليها ·

ـ هل مازالت تقول انها لم تر احدا ابدا أو أى شيء ؟

ـ لا اعرف ، يا آنسة · فأنا لم اسألها ثانية عن ذلك ·· أعتقد أنه ليست هناك حاجة لذلك · فلقد أنهكها ذلك تماما !

— أوه ، أنا أعرف الشكل الذى تبدو عليه ، وأعرف كذلك الأسلوب الذى تسلكه · انها متضايقة ، بنفس القدر الذى يكون عليه انسان يشعر بأهميته ، لأننى قد شككت فى ثقتها بنفسها وشخصيتها · وحقيقة أنا مازلت أشك فيها كثيرا جدا · وأنا لا أعتقد انها ستتحدث الى ثانية على الأطلاق ·

لم تفهم السيدة جروز ما قصدته تماما ، فلم تقل شيئا للحظة،ثم اتفقت معى تماما فى النقطةالأخيرةوقالت : حقيقة ، يا آنسة ، اعتقد انها لن تفعل ذلك ابدا · فهى معتزة بنفسها !

قلت بوضوح : « هذه هى مشكلتها الرئيسية الآن »

— انها تسألنى كل بضع دقائق ، عما اذا كنت أظن انك ستأتين الى الحجرة ؟ »

— فهمت ··

— هل قالت لك كلمة واحدة عن الآنسة جيزيل منذ أمس ··· فيما عدا انها لم ترها ابدا أو تفكر فيها ؟

— ولا كلمة ، يا انسة · وأنت تعرفين بالطبع اننى صدقتها بالأمس عند البحيرة ، حيث — لم يكن يوجد أى أحد هناك ؟

— نعم . بالطبع ، أعرف ! ومن الطبيعى أن تظلى تصدقينها ·

— وماذا عساى أن افعل غير ذلك ؟

— لاشىء على الاطلاق ! فانت تتعاملين مع انسانة صغيرة ماهرة جدا ، وصديقاها المتوفيان جعلاها اكثر مهارة مما يمكن ان تفعله الطبيعة · ان فلورا الآن لديها ماتشكو منه · وسوف تستغل ذلك جيدا حتى النهاية !

— أجل ، يا آنسة ، لكن ماذا ستكون النهاية ؟

— « أن يخبرا عمهما عن كل شىء — وعنى سيقولان عنى اننى أسوأ ··· »

ويبدو أن السيدة جروز تخيلت الطفلين وهما يخبران عمهما ·· وانعكس هذا المشهد على تعبيرها : « لكن هو له رأى ممتاز فيك ، ياآنسة » !

ـ فلورا تريد التخلص منى ،بطبيعة الحال ٠

فوافقتنى : بل انها لاتريد حتى ان تنظر اليك ثانية !

سألتها : « هل ذلك ماحضرت لتقوليه لى ؟ ـ وانه يتحتم على ان ارحل على الفور ؟ » ٠٠ وقبل أن تتمكن من الاجابة **اكملت :** « ان لدى فكرة افضل ٠ فكرت فيها اثناء الليل ٠٠ يوم الأحد الماضى فكرت انه قد يكون من الأفضل بالنسبة لى أن أرحل ٠٠ وكنت على وشك ان افعل ذلك ٠٠ لكن ذلك لن يفيد فى شىء انه انت التى يجب أن تذهبى ٠ يجب أن تأخذى فلورا » ٠

تدبرت الأمر وسألت ؟ لكن الى أين ٠٠٠ »

ـ بعيدا عن هنا ٠ بعيدا عنهما ٠ بعيدا ٠٠ وبغض النظر عن موقفى ٠ تأخذيها مباشرة الى عمها ٠

ـ لكنها سوف تخبره فقط بـ ٠٠٠

ـ دعيها تفعل ٠ يجب أن تتركينى هنا مع علاجى

نظرت الى فى ريبه : « وماهو علاجك ؟ »

ـ ولاؤك لى ٠٠ ذلك اول شىء ٠ ومايلز بعد ذلك ٠

ـ الا تظنين أنه لن ينقلب عليك اذا اتيحت له الفرصة ؟

ـ نعم ٠ مازلت أفكر فى ذلك ٠ على اى الأحوال ، انا أريد أن احاول ٠٠ أذهبى مع أخته بأسرع مايمكن ، واتركينى معه وحدى !

ظلت مترددة لكنها لم تقل اى شىء يعارض فكرتى ٠

واصلت كلامى : « بالطبع ، لابد أن يرى كل منهما الآخر ولو مجرد لحظات قبل أن تذهب » ٠

عندئذ اتضح سبب تردد السيدة جروز لأن الطفلين كانا قد تكلما مع بعضهما بعد أن عادت فلورا من البحيرة، وبالتالى فان ماعرضته لم يكن له فائدة ترجى ٠٠ **فسألتها بصوت قلق :** « هل تعنين أن الطفلين قد تقابلا بالفعل ؟ »

احمر وجهها مرة ثانية : « آه ، يا آنسة ، فانا لست على هذه الدرجة من الحماقة : فعندما كان يتحتم على أن أتركها لمدة ثلاث أو أربع دقائق ، كنت أطلب من احدى

الخادمات أن تبقى معها · حاليا هى فى الغرفة وحدها ولكننى اغلقت الباب · انا افكر فى ·· »

ـ اجل ، فى ماذا ؟

ـ ·· فى مايلز · هل انت متأكدة أن كل شيء سيكون على مايرام ؟ !

ـ انا لست متأكدة بخصوص أى شيء فيما عداك انت · لكننى اصبحت اكثر تفاؤلا منذ مساء امس · لأننى اعتقد انه كان يريد ان يقول لى شيئا · فقد جلس معى مدة ساعتين مساء امس امام مدفأة حجـــرة الدراسة ، وساعتها كنت أعتقد انه سيتكلم ·

تطلعت السيدة جروز عبر النافذة الى ضوء النهـــار الرمادى ثم قالت : « لكنه لم يقل أى شيء » ·

ـ « كلا · لم يقل · رغم أننى انتظـــرت وانتظرت · لكننى لم استطع الانتظار اكثر من ذلك · ينبغى أن أتيح له فرصة اكثر قبل ان اسمح لعمه أن يراه ·· خاصة اذا اخذت فلورا الى شارع هارلى · »

وظلت غير مستطيعة أن تتفق معى تماما فسألتنى :

ـ ما الذى تقصدينه بفرصة أكثر ؟

ـ فى خلال يوم أو يومين · أعتقد أنه سيكون على استعداد للكلام معى ·· وعندئذ سيكون فى صفى · وذلك شيء مهم جدا ، أليس كذلك ؟ واذا لم يحدث شيء ··· فبالطبع سأفشل · وأنت لن تقدمى على فعل أى شـــيء خطأ ، بل سوف تساعدينى بأن تفعلى أفضل ما تستطيعين فى لندن ·

ولم تستطع السيدة جروز أن تقرر ، وكان على أن اوجه اليها سؤالا آخر : « قولى لى ، الا تودين حقيقة أن تذهبى ؟ »

افصحت ملامحها عن الرضا فى الحال ، ومدت الى يدها وقالت :

ـ سأذهب ·· سأذهب سأذهب هذا الصباح !

ـ « اذا كنت تودين البقاء قليلا ، فانا أعدك بألا ترانى فلورا » ·

ـ كلا ، كلا !

ونظرت الى بعينين مثقلتين وواصلت كلامها : « فكرتك هى الفكرة الصائبة · وبالنسبة لى ، يا آنسة ·· »

ـ ماذا ؟

ـ لا أستطيع البقاء !

رمقتنى بنظرة مخيفة حتى اننى فكرت توا فى مخرج جديد ·

ـ هل تعنين انك قد رأيتها فعلا أمس ·· ؟ !

هزت رأسها : « كلا ، لكنى سمعت ··· »

ـ ماالذى سمعته ؟

ـ سمعت أشياء مرعبة جدا ، يا آنسة ·· من تلك الطفلة ! وبشرفى هى تقول أشياء ···

لكن السيدة جروز ، لم ترغب ، أو لم تستطع أن تقول لى ما قالته فلورا · جلست غارقة فى أحد المقاعد وانفجرت فى فيض من الدموع ·

وانفجرت فى فيض من الدموع ·· !

انتظرت لبضعة دقائق ثم سألتها بهدوء : « هل كانت تتكلم عنى ؟ »

تطلعت الى على وهى تجفف دموعها : « نعم ياآنسة ، كيف عرفت ؟ فلم أكن سأقول لك · قالت كلاما أسوأ من اى شىء سمعته من قبل · لا أتصور أن فلورا تستطيع قول ذلك ·· ولا أتخيل أين تعلمت كل ذلك ·· »

ـ هل تقصدين أنها قالت عنى كلاما قبيحا ؟

ثم قلت بصوت عال : « أنا أعرف من علمها ذلك ! »

ـ ومن المحتمل أن أعرف أنا كذلك حقيقة ، ياآنسة · لأننى سمعت شيئا منه من قبل ! لكنى لا أستطيع تحمله » واستدارت السيدة المسكينة تنصرف ونظرت الى ساعتى الموجودة على المنضدة : « يجب أن أعود اليها الآن · »

ـ لكن اذا كنت لم تستطيعى تحمل ذلك ، فكيف يمكنك البقاء معها ؟

ـ لكى أبعدها عن هذا المكان فقط ياآنسة ، بعيدا عن هذا المكان ·· بعيدا عنهما ·· !

ـ أجل ، أجل : فمن المحتمل أن تكون فلورا مختلفة عن مايلز · ربما ماتزال حرة الارادة !

واحتويتها بنوع من المرح : « اذن فبالرغم مما حدث أمس · فأنت تصدقين أن ··· »

لم تكن بى حاجة الى أن أكمل الجملة · فقد نطق تعبير وجهها قبل أن تقولها : « نعم ، أصدق » !

كنت فى منتهى السعادة لسماع تلك الكلمات · وكان يكفينى ما تحمله هذه الكلمات من صدق ، ولم أكن لأهتم بحدوث اى شىء آخر · واذا كانت صديقتى على استعداد لأن تقسم على صدقى ، فقد كنت على استعداد لأقسم لكل الباقين · لكن وقد قررت الآن أن تذهب الى لندن ، فقد كان هناك شىء واحد يقلقنى بعض الشىء ·

قلت : « لقد تذكرت شيئا توا ، لابد أن رسالتى قد وصلت الى عمهما ، قبل أن تصلى أنت الى شارع هارلى · وسوف يعرف أن هناك شيئا ما قد حدث · »

كنت على يقين بان لديها المزيد مما لم تقله لى ، وقد جعلها ذلك فى الحقيقة تبدو مرهقة جدا **فقالت**:«ببساطة ان خطابك لن يصل الى هناك ، فهو لم يرسل على الاطلاق ! »

ـ ماذا حدث له اذن ؟

ـ لا اعرف ، لكن مايلز ···

فقلت بصوت عال : « هل تعنين انه اخذه ؟ »

ترددت ثم جمعت شتات نفسها **واكملت** : « ·· عندما عدت مع فلورا امس ، لم يكن الخطاب موجودا على منضدة الصالة حيث تركته · وفى وقت متاخر من المساء سالت المرسال اذا كان قد اخذ الخطاب الى مكتب البريد ، لكنه قال انه لم يكن يوجد خطاب على المنضـــدة عندما غادر البيت · وهكذا ترين ، يا انسة ·· »

ـ اجل ·· فهمت ـ لو ان مايلز اخذه ، فــلابد ان يكون قد قراه ومزقه الآن » ·

ـ لكن الا تدركين شيئا اخر يا آنسة ؟

تطلعت اليها للحظة بابتسامة حزينة : « يدهشنى ان عينيك الآن مفتوحتان اكثر من عينى » ·

ـ فعلا ، فانا الآن اعرف ماقد فعله فى المدرسة » ·

وهزت راسها بحزن : « لقد سرق ! »

فكرت فى ذلك : « ربما يكون قد فعل ، لكن ·· »

ـ لكن ماذا ؟ اقصد انه سرق خطابات ·

لم تكن تعرف بالطبع مبرراتى للشك فى ان مايلز قد اصبح لصا صغيرا **وقلت** : « امل اذن أن يكون قد تعلم المزيد من خطابات الناس الاخرين اكثر مما تعلمه من خطابى ! فما ذكرته لعمه كان مقتضبا جدا ، لقد قلت فقط · اننى أريد أن اقابله · لو ان مايلز اخذ الخطـــاب فعلا ، فانا اعتقد انه يشعر بالخجل التام لأنه فعل شيئا لم يكسب منه الكثير · وذلك هو السبب الذى جعله يبقى معى طويــلا مساء امس ! فقد كان يريد أن يعترف » ·

وبدا لى كل شىء واضحا فى النهاية . فقلت وانا اقف عند باب الحجرة استعجلها فى الانصراف : « هيا ، هيا ولسوف يقول لى مايلز · سوف يعترف كلية · لو اعترف فسوف ينقذ نفسه ، واذا أنقذ ··· »

ـ ستنقذين أنت كذلك · اعتقد أن ذلك ماتقصدينه ·

عند ذلك قبلتنى وأمسكت بيدى · وقالت وهى تمضى الى الخارج : « سوف أنقذك بدونه ! » ···

- ٢٢ -

عندمـــا هبطت الى الدور الأرضى ، قالوا لـــى ان السيدة جروز وفلورا قد غادرتا البيت فى العربة · ولم أشعر أبدا بأننى خائفة على هذا النحو ، منذ اليوم الذى جئت فيه الى « بلاى » ·

لقد افتقدت مديـــرة البيت بشكل فظيـــع وفجأة · واصبحت وحيدة وجها لوجه ، فقلت لنفسى ، فلأدع نفسى للأقدار مهما يكن ماتسفر عنه · ولعدة مرات طوال اليوم انتابنى احســـاس بأننى كنت فى منتهى الغباء حتى اترك السيدة جروز ترحل ، خاصة وكما تبين لى الآن ، ماكنت أراه من النظرات الحائرة على وجـــوه الخدم فقد كانوا يتساءلون بطبيعة الحال عن سبب ماحدث · ولم يكن فى استطاعتنا تقديم مبرر مقنع لرحيل مديرة المنزل والطفلة

هكذا وفجاة · لكن سرعان ما تيقنت انه يتحتم على الا اسمح للخدم بازعاجى ، وان افضل شىء لاثبات ذلك ، ان اشغلهم على الفور فى شئون البيت ·

وهكذا اصبحت فى ذلك اليوم حاسمة جدا مع كل فرد فى البيت · اخذت اتجول فى انحاء البيت لمدة ساعة او ساعتين ، لأرى اذا كنت على استعداد لمقابلة اى نوع من المشاكل ،

لم أرى مايلز على الاطلاق ، لكن لابد انه قد اصبح من الواضح تماما لكل من البيت أن هناك تغيرا فى العلاقة بيننا · وكان اول يوم من أيام الأسبوع منذ عدة شهور تبدو فيه حجرة الدراسة منسية تماما ··

كان قد اختفى تماما عندما هبطت السلم ، وعلمت انه قد تناول افطاره مع السيدة جروز وأخته فى المطبخ · وأخبر الخدم حينئذ انه سيخرج للتمشى · واعتقد ان عبارته « اخرج للتمشى » قد عبرت عن تغير العلاقة بيننا بشكل افضل من أى شىء آخر ·

ولم استطع ان إعرف ما اذا كانت العلاقة بيننا ستصبح مرة أخرى علاقة تلميذ ومربية أم لا ، وكان ذلك يشكل ما احد اسباب راحتى ، فعلى الأقل استطيع الآن ان اتوقف عن الادعاء بأننى لا امثل بالنسبة اليه اكثر من انى مدرسة له فقط · ولقد كان مدركا لذلك وواعيا له ، حتى اننى لم اشعر باى حرج كبير لمجرد تقديم مميزاتى الحرفية · لكن قدراته الذهنية كانت حقيقة اكبر من قدراتى والأمر على هذا النحو يعد حماقة منى ان امضى فى التفكير فى نفس كمدرسة له · حسن ، لقد حصل على حريته الآن ، ولن اتدخل فى حياته مرة ثانية ·· !

على اى الأحوال فقد كنت مشغولة جدا بالمشكلة الرئيسية حتى اقلق نفسى بمشكلة تعليمه ، وتاكدت ان الصعوبة فى هذه المشكلة تكمن فى اللحظة التى يعود فيها مايلز للبيت · فبرغم ماحدث امس ، وبرغم كل ماحدث فى الأشهر الأخيرة ، ظل الصبى على نفس الحال ، ظل سلوكه هادئا كالعادة ، ومازال جماله الطفولى موجودا . ولم يبد عليه اى نوع من المعاناة على الاطلاق ·

قررت واخبرت الخدم باننى سوف اتناول طعام الغداء مع مايلز بحجرة الطعام ·· تلك الحجرة التى رايت فيهـا كوينت للمرة الثانية مساء يوم احد منذ فترة طويلـة · انتظرت مايلز هناك ، وبينما كنت انتظره اخذت افكر فى احسن طريقة للتعامل معه · وتفتح ذهنى على شىء ، لو اننى كنت اريد ان احفظ توازنى ، فينبغى على ان اطرد الحقيقة من ذهنى ، الحقيقة التى تتلخص فى ان كل تلك الأمور ضد الطبيعة · وباستطاعتى ان اتعـــايش معهـا واتعامل مع هذه الأشياء المزعجة وكانها اشياء غير عادية وغير مبهجة – مجرد اشياء متعبة سرعان ما تزول · ولابد ان اتغلب عليها ويصبح كل شىء على مايرام مرة ثانية !

حضر مايلز الى حجـــرة الطعام ، وقف ويداه فى جيوبه · كان الطعام على المائدة ، والخدم قد عادوا الى المطبخ · نظر الصبى الى الطعام وكانه على وشك ان يبدى تعليقا مضحكا عليه · لكن بدلا من ذلك قال :

– هل هى مريضة جدا حقيقة ؟

– فلورا ؟ كلا ، ليست مريضـــة جدا · ســـرعان

ماستتحسن صحتها فى لنـدن · فجو « بــلاى » لا يتفق معها · اجلس وتناول طعامك !

استجاب على الفور ثم واصل كلامه : « لكن هل جو « بلاى » أصبح لايتوافق معها هكذا فجاة » ؟

– ليس هــكذا فجاة كما تعتقد · لقـد كانت حالتها تسوء منذ فترة !

– اذن لماذا لم ترسلوها من قبل ؟

– قبل ماذا ؟

– قبل أن تصبح مريضة الى هـذا الحد ولا تقوى على السفر ·

– لكنها ليست مريضة الى الحد الذى يمنعها من السفر · من المحتمل أنها كانت تصبح كذلك لو بقيت هنا · كان ذلك هو الوقت المناسب تماما لسفرها ·· وقد تكون الرحلة بمثابة نوع من التغيير هى فى حاجة اليه ··

– فهمت · فهمت !

جلس ليتناول طعامه بسلوكه المتميز بآداب المائدة ، الذى اتسم به منذ عودته من المدرسة · حتى اننى توصلت الى انه مهما كان سبب طـرده من المدرسة ، فلن يكون بسبب اسلوبه الردىء فى تناول الطعام · لكنه اليوم اثناء تناول الطعام ، كان يبدو عليه انه يفكر بعمق اكثر ممـا ياكل · حتى انا اكلت قليلا وسـرعان ما ناديت الخـدم ليرفعوا الطعام ·

وعندما كان يجرى ذلك ، وقف مايلز ثانية ويداه فى جيوبه وظهره لى · كان يتطلع من النافذة العريضة التى رايت كوينت خلالها · لم نقل اى شىء حينما كانت الخادمة فى الحجرة ، لكن عندما غادرتها استدار الى وقال :

ـ حسن ، ها نحن وحدنا !!

- ٢٣ -

اجبت : أوه ، ليس تماما لا نبدو كذلك !

ولاحظت ان ابتسامتى ليست مشرقة تماما ·

ـ كلا ·· اعتقد ذلك فعلا فالآخرون بالطبع مازالوا هنا ·

وافقته على كلامه : « اجل بالطبع ، فالآخرون مازالوا هنا » ·

فقال : « لكن رغم انهم هنا ، فان وجودهم ليس لـه اهمية ، اليس كذلك ؟ »

ـ اوه ، ذلك يتوقف على ماتقصده بكلمة « اهمية ! »

ـ اجل ، اجل ·· كل شىء يتوقف على شىء ما ! »

التفت ناحية النافذة مرة اخرى ثم اتجه ببطء ناحيتها وهو غارق فى التفكير · ثم اخذ يضغط انفه على زجاج النافذة ، متطلعا الى الأشجار المجردة من أوراقها فى شهر نوفمبر · التقطت قطعة من شغل الابرة كنت اعمل فيها ، واتجهت صوب كرسى مريح · كانت تلك هى احدى اللحظات التى وصفتها من قبل ·· سكون غريب ·· وصمت · وكنت على يقين تماما بأن كوينت او الآنسة جيزيل او كليهما موجودان فى الحجرة معنا ·· !

لكن الوضع كان مختلفا هذه المرة · فعندما نظرت الى ظهر الصبى ، طرأت على ذهنى فكرة وبالحاح · واصبحت واضحة جدا خلال لحظات · وعرفت أن هناك شيئا غريبا فى الحجرة ، لكن مايلز لايعرفه ! فقد انقضت فترة طويلة لم يرى فيها كوينت ·

ويبدو أن اطار النافذة العريضة افصح عن فشله · فشعرت اما انه عاجز عن الرؤية ، أو أنه فى موقف التعادل ، وأعطانى هذا الاحساس دفعة من الأمل · فقد كنت على يقين انه كان يتطلع عبر الزجاج الى شىء لم

يستطع أن يراه ، وأن هذه هى أول مرة يعرف فيها مثل هذا الفشل · أدى به ذلك الى أن يكون مضطربا ، على ما اعتقد ، رغم انه نجح فى السيطرة على نفسه · وعندما استدار اخيرا قال ببساطة : « حسنن ، اعتقد اننى سعيد لأن « بلاى » يتوافق معى » ·

ـ هذا شىء طيب ·· لقد رأيت الكثير منه فى الساعات القليلة الماضية ، أكثر مما أتيح لك فى الأوقات السابقة · أتمنى أن تكون مستمتعا بنفسك !

ـ أوه ، نعم ، فلقد تجولت فى أنحاء المكان كله ، سرت أميالا وأميالا · ولم اكن بمثل هذه الحرية !

وكان فى الحقيقة يتصرف بشكل رائع وكل ماأستطعته أن أسايره ·

ـ وهل تحب المكان هنا ؟ »

فوقف هناك مبتسما ثم قال كلمتين : «وانت ، كذلك ؟» وحمل هاتين الكلمتين من المعانى أكثر مما كنت أستطيع أن اتخيله · وقبل أن أستطيع الاجابة ، واصل كلامه :

« كرم منك ان تبقى هنا ، بالطبع ، رغم انه قد لايبدو لطيفا بالنسبة لك · واذا كنا · اصبحنا وحدنا هنا ، فسوف تقضين معظم الوقت وحدك · ارجو الا يضايقك ذلك ! »

فسألته : « يضايقنى ان اكون معك ؟ · ياطفلى العزيز ، انا استمتع بذلك ! ذلك هو السبب فى بقائى هنا » ·

نظر الى مباشرة ، وكان تعبير وجهه فى تلك اللحظة جادا ، اجمل تعبير رأيته على وجهه من قبل · **وقال** : « هل بقيت هنا من اجل ذلك فقط ؟ »

ـ « بالتاكيد · انا باقية هنا بمثابة صديق لك ولأننى مهتمة بك ، وسابقى حتى يتم ترتيب شىء ما بخصوص مستقبلك ولن يدهشك ذلك · الا تذكر اننى قلت لك ، عندما حضرت اليك وجلست على سريرك ليلة هبوب العاصفة ، اننى اريد فقط ان اساعدك ؟ »

ـ اجل ، اجل ! ··

واكتشف انه من الصعب أن يتكلم بهدوء ، لذا فقد تظاهر باننا نمزح : « لكن ذلك ، على ما اعتقد كان لكى تقنعينى بان افعل شيئا من اجلك ! »

فاعترفت : « فعلا كان ذلك يتضمن ان تفعل شيئا ، لكنك لم تفعله » ·

قال : « اذكر الآن ـ فقد أردت منى ان اقول لك شيئا » ·

ـ هذا صحيح · كنت اريد منك ان تخبرنى بشىء ما كان يتعبك ·

ـ آه ، ومازلت تريدين أن تعرفى ؟ هل ذلك ماجعلك تبقين هنا ؟

كان يتكلم بمرح ، لكننى أحسست يقينا بأن هناك نغمة استسلام فى صوته · فسرنى ذلك اكثر مما اتصور · **فاجبت** : « نعم ، انا اعترف بذلك · ذلك ماجعلنى أبقى هنا » ·

ظل صامتا فترة طويلة ، فاعتقدت انه كان سيقول بأن ليس هناك شىء يتعبه ، أو انه ليست لديه النية لكى يقول لى أى شىء ·

لكنه قال اخيرا : « هل تعنين الآن ·· هنا ؟ »

ـ لن يكون هناك مكان ولا زمان افضل من ذلك ·

تطلع حوله ، كما لو ان هناك شيئا يربكه ، ثم انتابنى احساس غريب انه كذلك بالفعل ، لأنه كان خائفا لأول مرة ربما كان خائفا منى ، وبالتالى فان هذا يكون افضل انواع الخوف · وتساءلت عما اذا كان ينبغى ان اتحدث اليه بقسوة · لكننى لم استطع فعل ذلك ، حتى ولو كنت ارغب فى فعله · وفى اللحظة التالية قلت برقة : « انت تريد ان تخرج ثانية ، اليس كذلك ؟ »

ـ كم أود ذلك !

ابتسم بشجاعة والتقط قبعته · وقـــف هناك يلوى طرف قبعته بيده بطريقة جعلتنى اشـــعر بالخجل · فلقد أحسست حقيقة بالخجل مما كنت افعله ، رغم اننى كنت اعرف ان كل تصرفاتى كانت تعجبـــه · لقد كنت احاول انقاذه ، ولا استطيع ان افعل ذلك الا بان اجعله يـدرك فكرة الاثم والشر · كنت اقوم بفعل ذلك الى طفل صغير لاحول له ولاقوة ، اصبح بالنسبة لى بشكل من الاشكال

صديقا ورفيقا رائعا · ولك ان تتصور مدى ماشعرت بـه من خجل ·

قال مايلز : « ساخبرك بكل شىء ، اعنى ساقول لك كل ماترغبينه · سوف تبقين هنا معى ، وسنكون على مايرام وساقول لك ·· سوف اقول لك · لكن ليس الآن ! » ··

وبدا فى عينيه ، وربما فى عينى انا ايضا ، علامات الألم والحزن التى كانت قادمة · كان من الواضح تماما انه يخشى على بقدر خشيتى عليه !

سألته : « ولماذا ليس الآن ؟ »

اتجه ناحية النافذة ثانية ، وكان كلانا صامتين · لكن بعد مضى لحظة عاد الى بسرعة · وبدا كما لو ان هناك شخصا مهما بالخارج شخصا لايستطيع ان يجعله ينتظر وقال لى : « ينبغى ان اخرج الآن » ·

ـ فلتخرج اذن ، وسوف انتظر ما قد وعدت به · لكن فى مقابل ذلك ، وقبل ان تخرج ، هناك شىء صغير أود ان اعرفه ·

تردد ثم قال : « شيء صغير جدا ·· »

ـ نعم ، شيء صغير جدا فقط من المســـالة كلها تقول لى ، اذا كنت قد أخذت خطابى من فوق منضـــدة الصالة بعد ظهر أمس !

ـ ٢٤ ـ

لمدة دقيقة لم أستطع معرفة رد فعل تساؤلى هذا · فلقد حدث شيء بدد انتباهى بشكل كبير · فقد قفزت من فوق مقعدى ، وبحركة أو حركتين عفويتين أمســـكت بمايلـــز واحتضنته وجعلت ظهره تجاه النافذة وتلفت حولى طلبا للمساعدة · فلقد عاد شبح كوينت للظهور فى هيئة حارس فوق البرج - وكان الشيء الذى رأيته بعد ذلك أنه قد وصل الى النافذة · وقف بالقرب من الزجاج ، يتطلع من خلاله بوجهه الشيطانى الشاحب الدنيء !

لا أستطيع وصف مشاعرى · كل ما أستطيع قولـــه هو اننى توصلت الى قرار سريع جدا وأن اقوم بتنفيذه ·· وهكذا وانا اقف امام تلك الروح الشريرة وجها لوجه ، توصلت الى أن مايلز لاينبغى له أن يراه · كان الأمـــر



احتويته أكثر بين ذراعى ··

اشبه بقتال مع الشيطان من أجل روح انسانية ،، وعندما تطلعت الى الروح الانسانية التى بين يدى ، رأيت بضع قطرات من العرق على وجه الطفل الصغير · ثم سمعت صوت الصبى · لم يكن خفيضا ولا واهنا ، انما كان يأتى من أغوار سحيقة ، وكانت الكلمات التى سمعتها فى مَنتهى الحلاوة ·

– أجل ·· لقد أخذته ·

تنفست الصعداء وبراحة ومرح · احتويته أكثر بين ذراعى حتى أحسست بضـــربات قلبه · كانت عينـــاى ماتزالان مثبتين على ذلك الشىء الموجود خارج النافـــذة ورأيته يتحرك الى اتجاه جديد ، قلت ان كوينت يبدو فى هيئة حارس ، لكن حركته البطيئة جعلته يبدو وكأنه وحش داخل قفص · تجولت عيناه فى أرجاء الحجرة ، ثم توقف الشبح ليراقب وينتظر · كنت على ثقة تامة فى تلك اللحظة بأننى سأهزمه ، ومتأكدة أن مايلز لايعلم أن كوينت موجود هناك ، **فواصلت كلامى** : « ما السبب الذى جعلك تأخذ الخطاب ؟ »

ـ لأعرف ماقلته عنى ٠

ـ اذن فقد فتحت الخطاب ٠

ـ نعم ٠ فتحته !

ابعدته قليلا عنى ، حتى أستطيع رؤية وجهه ٠ كان تعبير وجهه يدل على تلاشى كل ما كان يتظاهر به ،

كان مضطربا ٠ لكن الشىء الغريب فى الأمر كله هو تاثير اعترافه ، الذى قطع الصلة بينه وبين كوينت ، ولم يعد يستطيع الاتصال مع ذلك الشىء الشرير ٠ كان يعرف من ذلك ، ان هناك شيئا غريبا متواجدا ، لكنه لم يكن يعرف ماهو ٠ ويبدو انه لم يكن لديه اى فكرة على الاطلاق اننى ايضا كنت على وعى بوجود ذلك الشىء الغريب واننى قد عرفته ٠ تطلعت ثانية ناحية النافذة ـ وقد لا يبدو ذلك مهما ـ ولم اجد احدا هناك ٠ كان الجو صافيا ، واختفى كوينت ٠ احسست باننى قد تغلبت عليه ولابد ان احقق نصرا كاملا ٠ فنظرت الى مايلز ثانية ٠

ـ ولم تجد اى شىء ؟

هز رأسه بحزن : « لاشىء » ٠

فقلت بصوت مرتفع : « لاشىء ، لاشىء ! » ٠

فكرر : « لاشىء ، لاشىء ! » ٠

ـ اذن ، ماذا فعلت بالخطاب ؟

ـ أحرقته !

ـ احرقته ؟ هل ذلك ماكنت تفعله فى المدرسة ؟

قال : « فى المدرسة ؟ »

ـ هل ذلك هو السبب فى طردك من المدرسة ؟ ٠٠ لأنك كنت تأخذ الخطابات أو أشياء أخرى ؟

شعرت بأن وجهى يحمر وتساءلت عما اذا كان من الغرابة فى شىء أن أوجه مثل هذا السؤال الى انسان مهذب ـ او لأرى الأثر الذى يحدثه له ٠ شعر بالخزى ٠

ـ هل كنت تعرفين اننى طردت من المدرسة ؟

ـ اجل ٠ أعرف كل شىء عنك !

نظر الى باندهاش شديد لفترة طويلة : « كل شيء ؟»

ـ كل شيء · لذا فهل ···

ـ كلا · انا لم أسرق !

ولاشك ان وجهى قد انباه باننى أصدقه · لكن بعد مضى عدة أشهر من التحرى ، لم استطع مقاومة نفسى من ان اساله :

ـ« اذن ما الذى فعلته ؟ »

تطلع حواليه فى كل أرجاء الغرفة وتنفس بصعوبة مرتين أو ثلاثة كما لو أنه يعانى ألما : « حسن ، كنت أنقل كلاما » ·

ـ ذلك فقط ؟

ـ اعتقدوا أن فى ذلك الكفاية !

ـ « الانك تنقل كلاما فقط لم يسمحوا لك بالعودة الى المدرسة · لايبدو ذلك سببا معقولا تستحق عليه هذا العقاب القاسى ، مثل الطرد »·

بدا لاحيلة له على الاطلاق ولم يحاول تبرير ذلك ·

ـ أعتقد ، أنه لم يكن ينبغى على أن أقول مثل هذه الأشياء !

ـ الى من كنت تنقل الكلام ؟

حاول أن يتذكر لكنه لم يستطع : « لا أعرف ! »

واصبح مستسلما تماما خلال يأسه فابتسم لى · ولو اننى كنت أكثر حكمة ، لوجب على أن أتوقف عن سؤاله · لكن يبدو أن انتصارى على كوينت ، قد أعمانى·فواصلت: « هل كنت تنقل الكلام الى أى شخص ؟ »

ـ كلا ، كان فقط لـ ···

هز رأسه ثانية وقال « لا أذكر اسماءهم »

ـ هل كانوا كثيرين ؟

ـ « كلا ·· بل قلة · اولئك الذين كنت أحبهم ·

كان يقول بعض أشياء لعدة أولاد كان يحبهم ! ولهذا لم يسمح له بالعودة الى المدرسة ! وغدت المشكلة أصعب

بدلا من أن تكون سهلة · شعرت بالأسف الشـــديد له ، وتساءلت خلال ذلك عما اذا كان حقيقة قد ارتكب اى شىء خاطىء · ازعبتنى الفكرة · واكتشفت فجأة انه اذا لم يكن مذنبا،فانا التى ساكون مذنبة!واصابتنى الفكرة بالوهن ، وتركته ليذهب ·· ابتعد عنى ناحية النافذة ، ولم يكن هناك ما اخشى عليه منه ·

سالته : « وهل كان هؤلاء الأولاد يرددون ماكنت تقوله لهم » ؟

ابتعد عنى قليلا · وتطلع حواليه فى ارجاء الغرفة بقلق وهو مازال يتنفس بصعوبة · لكنه اجاب على سؤالى: « أوه ، أجل ، لابد انهم رددوا ماكنت اقوله لهم · رددوه الى الأولاد الذين كانوا يحبونهم »

ـ واكتشف المدرسون ذلك ·· على ما اعتقد ؟ !

ـ نعم ، ولكنى لم اعتقد انهم سيخبروا احدا !

ـ لم يفعلوا ـ لم يخبرونى بأى شىء على الاطلاق ـ وهذا هو السبب فى اننى اسالك ·

والتفت الى بوجهه الصغير المنفعل : « أجل ، لقد كانوا فى منتهى السوء ·· فى منتهـــى الســـوء حتى يكتبوا الى البيت »

لقد كان سماع مثل هذه الكلمات من شخص ما لايمكن تصديقها · فقلت : « هذا كلام فارغ · انا لا اصدق ذلك » ومن المحتمل اننى بدوت غاضبة عندما اضفت : « ماهذه الأشياء التى كنت تقولها ؟ »

كان غضبى كله منصبا على المسئولين فى المدرســـة الذين حاكموه وادانوه ، وجعلـــه ذلك يتجه ثانية ناحية النافذة · وجعلتنى هذه الحركة اقفز ثانية تجاهه واحتويه بين ذراعى وانا اصرخ · فلقد ظهر شبح كوينت المرعب مرة ثانية خارج النافذة ، وكان يضغط بوجهـــه الأبيض الشاحب القاسى على الزجاج حتى اتوقف عن ســـؤال الصبى وموقف اعترافاته ·

كنت امسك مايلز بشىء من القوة ، ويبدو انـــه تبين الحقيقة ؟ وفجاة احسست يقينا بأن ذلك وهـــم ·· وان

الناقدة مازالت امام ناظرية خالية من أى شىء . وهكذا كان انتصارى على كوينت كاملا ، وأن مايلز قد أنقذ ! احتضنته بشدة وصرخت فى الزائر : « كفى ، كفى ، كفى »

واتجهت عينا الصبى صوب اتجاه كلماتى وسـألنى وهو يلهث : « هل هى هنا ؟ » .

فأجبت باندهاش : « هى ؟ »

فصاح بغضب مفاجىء : « الآنسة جيزيل ــ الآنسة جيزيل ! »

أصابتنى دهشة . وأعتقدت أن أفكاره قد ارتبطـت برحيل فلورا ، وجعلنى ذلك أود أن أبين له أن الحقيقة كانت أفضل من ذلك ، « انها ليست الآنسة جيزيل ! لكن الموجود خارج النافذة .. أمامنا مباشرة .. ذلك المخلوق الجبان ! وهو هناك لآخر مرة ! » .

حول رأسه . مثل كلب يتشمم رائحة ما . وبدأ يتطلع الى النافذة بنوع من الشراسة ، لكن عبثا أن يعثر على شىء . فلم يستطع أن يرى شيئا ، رغم أن الروح الشريرة

كانت تملأ أرجاء الحجرة ، وكانت بالنسبة لى مثل مذاق السم .

وقال وهو يلهث ثانية : « أليس هو ذاك ؟ »

فسألته : « ماذا تقصد « بهو » ؟ »

ــ بيتر كوينت .. أنت أيها الشيطان !

وأخذ يتطلع ثانية فى أرجاء الغرفة : « اين أنت ؟ »

مازال صوته يرن فى اذنى ، عندما قال اسمه ، ولن أنسى ذلك أبدا .

قلت : « لاتخشى شيئا الآن يامايلز ، لن يسبب لك اى شىء ابدا ! .. لقد أنقذتك ، أما هو ... »

والتفت ناحية الوحش الموجود خارج النافذة « ... فقد افتقدك الى الأبد ! » . وعندما اجبت على سؤال الصبى الأخير ، أشرت بأصبعى ناحية وجهه الشيطانى الشاحب . « هاهو ، هناك ! » .

وكان مايلز قد استدار بالفعل ، واخذ يتطلع ويتطلع ولم يرى سوى ضوء مابعد ظهيرة يوم من أيام نوفمبر ٠ وازاء افتقاده لرؤية اى شيء ، والذى كنت فخورة بـه جدا ، انطلقت منه صرخة عالية طويلة ، كما لو ان احدا دفعه من فوق حافة عالية ٠ امسكت به ثانية واحتضنته ، لكن بعد مضى دقيقة بدأت أدرك ماكان بين ذراعى ٠ كنا وحدنا في ذلك اليوم ، وقلبه الصغير الذى تحرر اخيرا ، قد توقف عن الدق !!